رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

علوم البلاغة

تأليف
الدكتور محمود احمد ابو عجمية
محمد صايل حمدان
محمود مهيدات

دار الهلال
١٤١١هـ/١٩٩٠م

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

علوم البلاغة

تأليف
الدكتور محمود أحمد أبو عمية
محمد صايل حمدان
محمود مهيدات

دار الهلال
١٤١١هـ/١٩٩١م

٤ ع ٤
محم محمود احمد رزق سمارة ابو عجمية
علوم البلاغة/ محمود احمد رزق سمارة ابو
عجمية، محمد صايل حمدان، محمود مهيدات ـ عمان:
(د.ن)، ١٩٩٠
(١٦٨) ص
ر.أ (١٩٩٠/٨/٥٥٣)
١ ـ اللغة العربية ـ البلاغة أ ـ محمد صايل
حمدان، مؤلف مشارك ب ـ محمود مهيدات، مؤلف مشارك
جـ العنوان

(تمت الفهرسة بمعرفة المكتبة الوطنية)

رقم الايداع لدى المكتبة الوطنية ومركز الوثائق
(١٩٩٠/٨/٥٥٣)

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

حاولنا أن يكون هذا الكتاب محققا للهدف الأساسي من تدريس مادة البلاغة، وهو تمكين الدارس من توظيف علوم البلاغة في دراسة الظواهر اللغوية وتحليل النصوص، ولهذا أكثرنا من الأمثلة من القرآن الكريم والشعر العربي . وتجنبنا الأمثلة المصنوعة .

وقد تقيدنا بخطة وزارة التعليم العالي، وهي خطة تقوم على الاصطفاء والاختيار لا على الشمول، وتزاوج بين البحث البلاغي وتاريخ هذا البحث.

ففي هذا الكتاب مباحث من علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع . وقدحاولنا أن نكشف أن هذه المباحث ليست حلية ولا زينه، ولكنها جزء من العملية الفكريه التي تنتج العمل الأدبي، فالمعاني هي التي تطلب الألفاظ لأنفسها .

نرجو أن يكون هذا الكتاب وافيا بالغرض، محققا للغاية، وأن يحظى بالقبول .

والله ولي التوفيق

عمان الثالث من محرم ١٤١١ هـ الموافق ١٩٩٠/٧/٢٤

المؤلفون

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الأول

١- البلاغة والفصاحة

من القضايا التي تبحث في أصول الجمال في الأثر الأدبي قضية البلاغة والفصاحة، فقد شغل النقاد القدامى والمحدثون في هذه القضية، وحاولوا أن يتعرفوا الى أسباب الجمال في الأثر الأدبي من الوجهة البلاغية، فهم يعزون الجمال الى البلاغة حينا، ويعزونه الى الفصاحة حينا آخر . وهناك فريق ثالث يرى أن أصول الجمال في الأثر الأدبي انما ترجع الى البلاغة والفصاحة معا .فماذا يعني مصطلح البلاغة ؟ وماذا يعني مصطلح الفصاحة ؟ لعله من المفيد أن نعود الى كتب البلاغة المختصة قديما وحديثا، ومن خلال استعراض آراء القدامى والمحدثين، يمكن للقارىء أن يتبين معنى هذين المصطلحين وأثرهما في تحقيق الجمال في الأثر الأدبي .

تعني كلمة (بلاغة) في كتب النقد القديمة التي ألفت قبل القرن الرابع الهجري، المعنى العام للقول الجميل، الذي يبلغ به الأديب درجة من الجودة والابداع . يظهر هذا المعنى فيما أورده الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين) اذ أورد جملة من الدلالات للفظ حين يكون بليغا، كما أشار الى أن (البلاغة) هي حسن التعبير في شتى صوره الشكلية من حيث المنطق،

وطلاقة اللسان، ومن حيث هيئة المتكلم واشاراته، فقد أورد الجاحظ قول العتَّابي عندما سُئِلَ ما البلاغة ؟ فقال :(كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حُبْسَة ولا استعانة فهو بليغ)[1] .

واضح من كلام العتَّابي أنه لم يُعْنَ بالناحية الجمالية في الأثر الأدبي . ولكنه قصد الى افهام المتكلم حاجته، ولهذا نرى الجاحظ يستدرك على العتابي فيقول : (والعَتَّابيّ حين زعم أن كل من أفهمك حاجته فهو بليغ، لم يعن أن كل من أفهمنا من معاشر المولدين، والبلديين قصده ومعناه بالكلام الملحون، والمعدول عن جهته، والمصروف عن حقه، أنه محكوم له بالبلاغة كيف كان)[2] يدل قول الجاحظ على فهم دقيق لمعنى (البلاغة) من الوجهه الجمالية، فالجاحظ لا يعني بالبلاغة مجرد الافهام، ولو كان الأمر على هدا النحو، لعددنا قول غير العربي بليغا ما دام قد أفهم حاجته . لذا فقد حاول الجاحظ أن يوضح قول العتابي فقال : (وانما عنى العتابي افهامك العرب حاجتك على مجاري كلام العرب الفصحاء)[3] . لقد اشترط الجاحظ في القول البليغ أن يكون جاريا على سنن العرب الفصحاء . وكأن الجاحظ في النص السابق يركز على تحقيق صفة الجمال في الأثر الأدبي.

ويبدو أن النقاد القدامى درجوا على استخدام لفظ (البلاغة) بمعناها السابق، وهو مجموعة من الخصائص التي تحقق الجودة للقول، وألفوا في ذلك كتبا اتجه أكثرها الى الناحية التعليمية، لتوجيه كُتَّاب الإنشاء .

---

(١) البيان والتبيين: ١/١١٣ .
(٢) البيان والتبيين : ١/١٦١
(٣) البيان والتبيين : ١/١٦٢ .

والمتتبع آراء النقاد القدامى، يرى أن بعضهم خلط بين معنى البلاغة وبين معنى البيان، ومن هؤلاء **أبو هلال العسكري** في كتابه (**الصناعتين**) فهو يجمع بين البلاغة والبيان ويناظر بينهما . فيْ أول كتاب (**الصناعتين**) يحدثنا عن معنى البلاغة بمعنى البيان، ونراه ينقل آراء **الجاحظ**، بينما في النصف الثاني من الكتاب نراه يتحدث عن البلاغة بوصفها مجموعة من الخصائص التي تتوافر في كل قول جميل ، ويفرد لذلك أبوابا، فهو يبدأ بالخصائص الجميلة، ثم بالخصائص القبيحة، فالتشبيهات الحسنة والتشبيهات القبيحة وهكذا ...

أما (**الرُّمانيّ**) في كتابه « **النكت في إعجاز القرآن** » فهو يستخدم البلاغة بالمعنيين فيقول : (فأما البلاغة فهي على ثلاث طبقات، منها ما هو أعلى طبقة، ومنها ما هو في أدنى طبقة، ومنها ما هو في الوسائط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة، فما كان في أعلى طبقة فهو معجز، وهو بلاغة القرآن الكريم، وما كان منها دون ذلك فهو ممكن كبلاغة البلغاء من الناس، وليست البلاغة افهام المعنى ؛ لأنه قد يفهم المعنى متكلمان أحدهما بليغ والآخر عيي، ولا البلاغة بتحقيق اللفظ على المعنى ؛ لأنه قد يحقق اللفظ على المعنى، وهو غَثٌّ مستكره، ونافر متكلف، وانما البلاغة ايصال المعنى الى القلب في أحسن صورة من اللفظ)[1] . ثم يقسم الرماني البلاغة الى عشرة أقسام:

الايجاز، والتشبيه، والاستعارة، والتلاؤم، والفواصل، والتجانس

---

(١) أنظر ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ٦٩ .

والتصريف، والتضمين، والمبالغة، وحسن البيان [1] . وبهذا التقسيم يكون (**الرماني**) قد حدد مدلول كلمة (البلاغة) في مجراها الاصطلاحي المعروف . وأصبحت بعده معروفة وعنوانا لهذه المجموعة من الخصائص الأسلوبية والجمالية الأخرى في البيان . ويدخل ضمنها ألوان البديع باعتبارها فنونا تعبيرية يلجأ اليها المحدِّثون، ليكسبوا أدبهم بهاء وجمالا، ولعل **ابن المعتز** أضاف ألوان البديع قبل **الرماني** في كتابه (**البديع**).

وحاول بعض النقاد القدامى أن يجعلوا خصائص معينة للنثر يختص بها دون الشعر، فظهر كتاب (**نقد النثر**) . وألف **الباقلاني** كتابه (**اعجاز القرآن**) وبهذا يكون المعنى الاصطلاحي لكلمة (بلاغة) قد تحدد في نهاية القرن الرابع الهجري، فألف **عبد القاهر الجرجاني** كتابيه (**أسرار البلاغة**) و (**دلائل الاعجاز**).

ونخلص الى القول إن البلاغة مجالها المعنى وكيفية توصيله الى القلب عبر وسائل أسلوبية خاصة .

---

(١) أنظر ثلاث رسائل في اعجاز القرآن : ٧٠ .

الفصاحـة

أما الفصاحة فقد استخدمت للدلالة على حسن التعبير، فقد استخدمها القدماء بمعنى البيان والخلوص، كما استخدم لفظ (الفصاحة) بمعنى خروج الكلام مخرجا واضحا دون تلعثم أو تعثر، وبهذا تكون الفصاحة مختلفة عن البلاغة وأوضح أبو هلال العسكري ذلك بقوله: (... فعلى هذا تكون الفصاحة والبلاغة مختلفتين، وذلك أن الفصاحة تمام آلة البيان، فهي مقصورة على اللفظ، لأن الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى . والبلاغة انما هي انهاء المعنى الى القلب فكأنها مقصورة على المعنى)[1].

واختلف علماء البلاغة حول هذا المعنى الذي أشار اليه أبو هلال العسكري، فنرى **ابن سنان الخفاجي** يوافق **أبا هلال العسكري** . فقد جعل **ابن سنان الخفاجي** في كتابه (**سرّ الفصاحة**). الفصاحة مقصورة على اللفظ، بينما نرى **ابن الأثير** في كتابه (**المثل السائر**) لا يوافق **أبا هلال العسكري**، وعد البلاغة والفصاحة من واد واحد، وان كانت الفصاحة أعم، والبلاغة أخص ؛ فالفصاحة عند ابن الأثير تشمل اللفظ والمعنى، بينما تشمل البلاغة المعنى وحده .

مما سبق ندرك أن القدماء وحّدوا بين مصطلحي البلاغة والفصاحة من الناحية التطبيقية، وان اختلفوا من الناحية النظرية .

أما المحدثون فقد ساير بعضهم القدامى في توحيد مصطلحي البلاغة والفصاحة[2] لما يحمل في طياته من قيم عربية واسلامية تقف في وجه

---

(١) الصناعتين : ٦ .

(٢) أحمد مطلوب ، مصطلحات بلاغية، ص ٧ .

الدعوات الهدامة التي تحاول هدم التراث العربي،ومن هؤلاء **أمين الخولي** الذي يرى أنه لا حاجة للفصل بين البلاغة والفصاحة بل ينبغي التسوية بينهما كما كان الحال عند الجاحظ وعبد القاهر الجرجاني . ويتبنى الدكتور **أحمد مطلوب** رأي الخولي يقول :(وكنا قد دعونا كما دعا الخولي الى الاقتصار على مصطلح البلاغة للدلالة على الفصاحة والبلاغة)[1] . ولعل أغلب البلاغيين القدامى والمحدثين قد جعلوا للفصاحة والبلاغة هدفين : الأول هدف أدبي القصد منه معرفة الأدب . والثاني ديني والهدف منه الوصول بالفصاحة أو البلاغة الى ادراك وجه الاعجاز القرآني [2] . ويرى هذا الرأي الدكتور **بكري الشيخ أمين** في كتابه (**البلاغة العربية في ثوبها الجديد**) إذ يعقد فصلا بعنوان (البلاغة هي الفصاحة) . ويرى هؤلاء النقاد أن الابلاغ عما في النفس هو الافصاح ولعلهم في هذا التوحيد بين مصطلحي (البلاغة) و (الفصاحة) انما يريدون التقليل من المصطلحات.

ندرك مما سبق أن النقاد القدامى والمحدثين وحدوا بين هذين المصطلحين من الناحية التطبيقية، وان ظل الفصل بين هذين المصطلحين قائما من الناحية النظرية . فابن سنان الخفاجي يضع صفات للفظ الفصيح ولكننا نحس أثناء التطبيق أنه يُوحِّد بين هذين المصطلحين .

---

(١) مصطلحات بلاغية ، ص ١١ .

(٢) البيان العربي . بدوي طبانة . ص ١٩١ .

فصاحة اللفظ

وتتحقق فصاحة الألفاظ إذا توافرت الشروط التالية[1] :

أولا : أن يكون تأليف اللفظة من حروف متباعدة المخارج ، فكلمة (عذب) تعد كلمة فصيحة لأنها مؤلفة من حروف متباعدة المخارج فحرف العين حلقي وحرف الذال أسناني ، وحرف الباء شفوي ، ومن هنا جاءت سهولة نطق هذه اللفظة ، أما كلمة « الهعخع » فهي كلمة غير فصيحة لأنها مؤلفة من حروف حلقية. .

ثانيا : أن تجد لتأليف اللفظة في السمع حسنا ومزيَّة على غيرها . وإن تساويا في التأليف من الحروف المتباعدة ومثال ذلك كلمة«غصن» ، وكلمة « عسلوج » ، فكلا اللفظتين مكونة من ألفاظ متباعدة في النطق ، وهما بمعنى واحد ، إلا أن كلمة « غصن » لها مزية في السمع ولذلك قالوا : (أغصان البان) أحسن من (عساليج الشوحط) .

ثالثا : أن تكون الكلمة غير متوعرة أو وحشية ، ومثال ذلك ما روي عن أبي علقمة النحوي من قوله :

« ما لكم تَتَكَأْكَؤون عليَّ تَكَأْكُؤُكُمْ على ذي جِنَّة ، افْرَنْقِعُوا عني » ، فإن لفظتي « تتكأكؤون وافرنقعوا » وحشيتان ، ومثل هذه الألفاظ هجرت ولم تعد تستخدم ، ذلك أن اللغة تنمو وتتطور بتطور الحضارة ، فتموت ألفاظ ، وتهجر أخرى ، وتظهر ألفاظ جديدة.

---

(١) ابن سنان الخفاجي ، سرّ الفصاحة ، ص ٥٤ وما بعدها .

رابعا : أن تكون الكلمة غير ساقطة عامية، ومثال الكلمة العامية كلمة « تفرعن » في قول أبي تمام :

جليت والموتُ مُبْدٍ حُرَّ صفحَتِهِ وقد تَفَرعَنَ من أفعالِهِ الأجَلُ

عامية مشتقة من اسم فرعون .

ومثال ذلك أيضا قول أبي تمام :

قد قلتُ لَمَّا لَجَّ في صدِّهِ اعطِفْ على عَبدِكَ يا قابري

فلفظة (يا قابري) هي غاية في السخافة ؛ لأنها من ألفاظ عوام النساء .

خامسا : أن تكون الكلمة جارية على العرف الصحيح . فإذا خالفت العرف الصحيح كانت غير فصيحة ومثال ذلك قول أبي الشيص:

وجناحِ مقصوصٍ تَحَيَّفَ ريشَهُ رَيْبُ الزمانِ تَحَيُّفَ المِقراضِ

فكلمة (المقراض) ليست من كلام العرب . ومثال ذلك أيضا قول الشاعر :

تنفي يداها الحَصا في كلِّ هاجرةٍ نَفْيَ الدراهيمِ تنقادُ الصَّياريفِ

فقوله: (الدراهيم والصياريف) ليستا على العرف الصحيح .

سادسا : ألا تكون الكلمة قد عبر بها عن أمر آخر يكره ذكره، ومثال ذلك قول أبي تمام :

وعزائماً في الـــــروعِ مُعتَصِمِيَّة ميمونـــة الإدبـــارِ والإقبالِ

فالإدبار من الألفاظ المكروهه . ومنه قول الشاعر :

وكم من غائطٍ من دونِ سلمى قليلُ الأُنسِ ليسَ بـــــه كتيعُ

فالغائط: البطن من الأرض . إلا أنه يستعمل الآن في الحدث على ذلك الأصل فذكره قبيح على ما تقدم.

سابعا : ألا تكون الكلمة كثيرة الحروف، ومثال ذلك قول أبي نصر ابن نباتة :

فإياكُمُ أن تكشِفوا عن رؤوسكم ألاَ إنَّ مغناطيسَهُنَّ الـــذوائبُ

فكلمة (مغناطيسهن) ليست فصيحة لكثرة حروفها .

فِصاحة الكلام

قد تكون اللفظة فصيحة باعتبارها لفظة مفردة، فإذا ضُمَّت إلى غيرها أصبحت غير فصيحة ذلك أن تأليف الكلام صناعة من الصناعات ينبغي أن يراعى فيها حسن التأليف والنظم. ويكون ذلك كالآتي :

أولا : قد يكون تأليف اللفظة المفردة من حروف متباعدة فإذا ضُمَّت الألفاظ بعضها إلى بعض تكررت الحروف المتقاربة . ومثال ذلك قول الشاعر:

لو كنتُ كنتُ كتمتُ الحبَّ كنت كما كنا نكونُ ولكن ذاكَ لم يكُنِ

فانظر كيف أدى تأليف الألفاظ إلى تكرار حرف الكاف، فأدى هذا التكرار إلى الإخلال بالفصاحة . ومثال ذلك قول الشاعر:

وقـــبرُ حربٍ بمـــكانٍ قَفْـــر وليسَ قربَ قـبرِ حـــربٍ قَبْر

ثانيا : وقد تكون الكلمة مؤلفة من حروف لها في السمع حسن ومزية، إلا أن نظمها مع غيرها قد يفسد هذا الحسن، ومثال ذلك قول الشاعر :

ولولا دموعي كتَمْتُ الهـــــوى ولولا الهوى لم تَكُن لي دمـــوعُ

فكل كلمة باعتبارها مفردة لها حسن ومزية على السمع، إلا أن نظمها على هذا النحو أفسدها وهذا الفساد جاء بسبب فساد الصناعة.

ثالثا : وقد تكون اللفظة المفردة جارية على العرف الصحيح، إلا أن التأليف له صلة بالناحية الاعرابية، فقد يؤدي النظم الفاسد للألفاظ إلى فساد في المعنى ومثال ذلك قول المتنبي :

قـــوم تفرَّسَت المنـــايا فيكُمُ فرأتْ لكم في الحربِ صبرَ كِرامِ

فوجه الكلام قوم تفرست المنايا فيهم، فرأت لهم.

ومهما يكن فقد اخترنا هذه المواضع الثلاثة لندلل على أن المزية إنما ترجع إلى النظم وحسن ترتيب الألفاظ حسب المعاني في النفس ويدرك هذا الأمر كل من أوتي الذوق السليم.

٢- البلاغة والمستويات الثقافية

إن تحديد المصطلح أمر له دلالته في أي علم من العلوم، وهذا التحديد هو الذي يوجه الباحث إلى غاياته ويوضح له السبل التي ينبغي عليه أن يسلكها. وإذا كان هذا الأمر على هذا النحو فإنه ينبغي تحديد مفهوم المستويات الثقافية ثم تحديد علاقة البلاغة بهذه المستويات .

يقصد بالمستويات الثقافية المناشط الإنسانيةالتي تؤثر في حياة الأديب والتي من خلالها يستطيع أن يقبل أو يرفض مواقف من الحياة تبعاً لدرجة ثقافته في مناشط الحياة المختلفة لغوية أو نقدية، أو دينية، أو نفسية، أو اجتماعية.

وعلى هذا الفهم ينبغي أن نوضح علاقة (البلاغة) - باعتبارها واحدا من مناشط الإنسانية - مع بقية مناشط الحياة الأخرى. وفي هذه الحالة لا نقصد بالبلاغة ذلك العلم المقنن ولكن نقصد البلاغة فنا من الفنون. يهم جميع الناس، لأنهم يمارسونه باعتباره واحداً من مناشط الثقافة. وبمعنى أدق علينا أن نحدد دور البلاغة العربية من ناحية وظيفية، وصلة البلاغة ببقية المستويات الثقافية الأخرى.

إن التفريق بين البلاغة باعتبارها علما، وبين البلاغة باعتبارها فنا تفريق دقيق يهم الذوق الإنساني وهو ما أسماه القدماء « بلاغة العرب » بمعنى أن هذه البلاغة تأتي عن سجية وطبع، دون النظر إلى المؤلفات البلاغية المتخصصة. أما التأليف الفلسفي في البلاغة العربية فقد أسماه

القدماء (بلاغة العجم)[1] بمعنى أن هذه المؤلفات وضعت لتعليم غير العرب فروع البلاغة العربية. ولكي نحقق الهدف من هذه الدراسة ينبغي أن ندرس « البلاغة » في كتب غير المختصين بالبلاغة الذين يعدون البلاغة وسيلة من وسائل عرض الأفكار، وبمعنى أدق الذين يوظفون البلاغة عن سجية وطبع في عرض أفكارهم .

إن الدراسة على هذا النحو ليست من السهولة بمكان ؛ لأن مثل هذه الدراسة تحتاج إلى استقصاء عبر العصور الأدبية من العصر الجاهلي إلى عصرنا الحاضر وهو أمر يحتاج إلى زمن طويل، ودراسة مستقصية ومع ذلك فإننا سنحاول أن نحدد علاقة البلاغة العربية باعتبارها فنا ببقية المستويات الثقافية عبر نماذج معينة ، وستكون هذه النماذج من كتب غير المختصين بالبلاغة كما أشرت سابقا .

١

تحاكم امرؤ القيس وعلقمة الفحل إلى أم جندب الطائية، فقال امرؤ القيس قصيدته التي مطلعها :

خليليَّ مُـرّا بـي على أمِّ جُنـدُبِ نُقَضِّ لُباناتِ الفؤادِ المعـذَّبِ

ثم قال علقمة الفحل في القافية والروي قصيدته التي مطلعها :

ذهبت من الهجرانِ في غير مذهبِ ولم يكُ حقا كلُّ هذا التجنـُّبِ

---

(١) مقدمة ابن خلدون : ٤٢٣-٤٢٤ .

واستطرد كل منهما في وصف ناقته وفرسه إلى أن قال امرؤ القيس :

فللزجرِ أُلهوبٌ وللســـاقِ دَرَّةٌ وللسوطِ منهُ وقعُ أهوجَ مهــذَبِ

وقال علقمة :

فأدركهُنَّ ثانياً مــن عنانـــهِ يَمُرُّ كَمَرِّ الرائحِ المتحَلــِّبِ

فلما فرغ علقمة، فضلته على امرؤ القيس . فقال لها : بم فضلته علي؟ فقالت: فرس ابن عبدة أجود من فرسك. قال: وبم؟ قالت : إنك زجرت وحركت ساقيك، وضربت بسوطك [(١)].

٢

ذكر ابن سلام في طبقاته أن النابغة الذبياني قدم المدينة على الأوس والخزرج فأنشدهم قوله:

أمِن آلِ ميَّةَ رائـــحٌ أو مغتـــدي عجــلان ذا زادٍ وغيــر مــزوَّدِ
زعم البوارِحُ أنَّ رحلَتَنا غـــــدا وبذاكَ خبَّرَنا الغــرابُ الأســودُ

فقالوا : إنك تكفىء الشعر، قال :وكيف ذلك ؟ فجعلوا يخبرونه، وهو لا يفهم ما يريدون. فقالوا لجارية: إذا صرت إلى القافية فرتلي. فلما قالت: « الغرابُ الأسودُ » علم فانتبه ولم يعد إليه وقال: قدمت الحجاز وفي شعري ضعة ورحلت عنها وأنا أشعر الناس [(٢)].

---

(١) الموشح: ٢٨، وشعراء النصرانية: ٢٢/١ .

(٢) أنظر القصة في طبقات الشعراء: ٣١، والشعر والشعراء: ٩٣/١ .

٣

سمع الوليد بن المغيرة الرسول (ص) يقرأ قوله تعالى: إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ . فقال الوليد: « والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر . ما يقول هذا بشر ».

النماذج الثلاثة السابقة تثير تساؤلا واحدا : لم أعجبت أم جندب بشعر الفحل وفضلته على شعر زوجها امريء القيس؟ ولم شعر أهل المدينة بنبوُ في شعر النابغة عندما قال « مزودِ» و « الأسودُ» ؟ ولم أعجب الوليد بن المغيرة بما قرأ الرسول (ص) مع أن المغيرة كان على دين الكفر ؟ إن الجواب واحد هو أن الذوق والسليقة والطبع هي التي جعلت هؤلاء يصدرون أحكامهم. إن أم جندب، وأهل المدينة، والوليد بن المغيرة لم يكونوا على دراية بالمصطلحات البلاغية، ولم تكن تلك المصطلحات قد تحددت فلم يكونوا ليعرفوا الاستعارة أو التشبيه او ألوان البديع. لقد صدر حكمهم عن سليقة وطبع فوظفوا البلاغة باعتبارها ممارسة يومية يمارسونها، فارتبطت البلاغة على هذا النحو بمستويات ثقافية – وإن كانت على السليقة – وأصبحت البلاغة واحداً من المناشط العامة التي يمارسها الناس ،ولعل هذا الأمر أقصى ما يصل إليه ناقد أو أديب .

هذه النماذج الثلاثة اخترناها من بيئات مختلفة ومع ذلك جاء الحكم واحد مبنيا على الذوق والسليقة والطبع. وسنسوق الآن نماذج من مؤلفات ألفت في غير البلاغة وسنستعرض من خلالها اتصال البلاغة باعتبارها فنا مع بقية المناشط الأخرى.

---

(١) سورة النحل، آية ٩٠

٤

كتاب «**الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها**» لأحمد بن فارس (٣٩٥ هـ) .

ألف ابن فارس كتابه في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، وجعله أربعة أقسام :

القسم الأول : وخصصه لموضوعات عامة في اللغة العربية من حيث كون اللغة العربية توقيفية أم اصطلاحية، وعالج في هذا القسم فصيح اللغة وقبيحها، ونمو اللغة بمجيء الإسلام .

القسم الثاني : وخصصه لنواحي نحوية وصرفية .

القسم الثالث : خصصه للتراكيب وطرق التعبير .

القسم الرابع : خصصه للشعر .

مما سبق ندرك أن المؤلف لم يؤلف كتابه في فن البلاغة، وفي تفريعاتها باعتبارها مصطلحات بلاغية. ومع ذلك فإن القاريء لهذا الكتاب يدرك كيف وظف ابن فارس البلاغة باعتبارها فنا من الفنون لها صلة وثيقة بالمستويات الثقافية الأخرى. ويظهر هذا التوجه عند ابن فارس عند حديثه عن قضية إعجاز القرآن، وحديثه عن سنن العرب في حقائق الكلام .

ولكي يثبت ابن فارس إعجاز القرآن لجأ إلى عرض الوسائل التي استخدمها العرب في الكشف عن جماليات الفنون القولية عند العرب ومثال ذلك: أورد ابن فارس معنى الحقيقة فقال :

« الحقيقة » الكلام الموضوع موضعه الذي ليس باستعارة ولا تمثيل ولا تقديم ولا تأخير ، كقول القائل: أحمد الله على نعمه وإحسانه وهذا أكثر الكلام. قال الله جل ثناؤه [1] : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ وأكثر ما يأتي من الآي على هذا [2] .

لعل هذا النص يكشف لنا عن فهم دقيق لقضية هامة من الناحية البلاغية وهي أن جميع وعود الله – سبحانه وتعالى – ونعمه حق من غير مناقشة، ومن قال خلاف ذلك فهو جاهل جاحد. « أما الوعد والنعمة من غير الله تعالى ، فهي ربما تكون نعمة في رأي صاحبها، وغير ذلك عند متلقيها، إما لكرة أو لجحود ، أو لأمر يخرج عن دائرة اهتمام صاحب النعمة من البشر ، وهذا ما يجعل قوانين أمة في رأي أهلها صالحة، وعند أمم أخرى جائرة ومستعمرة » [3] .

وعلى هذا الفهم تكون الحقيقة في القرآن الكريم ثابتة لا تحتاج إلى نقاش، وما أمر به الله تعالى لا يمكن تأويله إلى حقيقة مرة، وإلى مجاز مرة أخرى: لأن التفاوت يكون في أعمال الإنسان ذاته .

والمجاز عند ابن فارس هو الكلام الحقيقي الذي يمضي لسنته لا يعترض عليه ، وقد يكون غيره يجوز جوازه لقربه منه ، إلا أن فيه من تشبيه واستعارة وكف ما ليس في الأول وذلك كقولك: عطاء فلان مزن واكف ، فهذا تشبيه، وقد جاز مجاز قوله : عطاؤه كثير واف، ومن

---

(١) سورة البقرة، آية ٤ .

(٢) الصاحبي في فقه اللغة، ص ١٩٦، ١٩٧ .

(٣) فصول في البلاغة، ص ١٣٧ .

هذا في كتاب الله – جل ثناؤه – : ﴿ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ ﴾[1] فهذا استعارة . وقال : ﴿ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴾[2] فهذا تشبيه .

وهكذا يمضي ابن الفارس في عرض سنن العرب في تعبيراتهم . ويربطها بما جاء في القرآن لتكون حجة الله تعالى عليهم، بأن جاء بما يستخدمون في تعبيراتهم، وهم قد عجزوا عن الإتيان بما جاء به القرآن الكريم.

يقول ابن فارس : «لا بل أنزله – جل ثناؤه – بالحروف التي يعرفونها والسنن التي يسلكونها في أشعارهم ومخاطباتهم ليكون عجزهم عن الإتيان بمثله أظهر ، وأشهر، ثم جعله – تبارك اسمه – أحد دلائل نبوة محمد (ص) ، ثم أعلمهم ألاّ سبيل لهم إلى معارضته»[3] .

مما سبق يتضح لنا كيف أن ابن فارس وظف الدرس البلاغي باعتباره فنا من الفنون، نفذ من خلاله إلى إثبات إعجاز القرآن الكريم، فلجأ إلى سنن العرب وأقوالهم التي يستخدمونها في حياتهم – وهم أهل البلاغة والفصاحة – ليثبت عن طريق هذا الاستخدام الوظيفي للبلاغة قضية إعجاز القرآن. لقد أصبحت البلاغة عند ابن فارس منشطاً من مناشط الحياة العامة من حيث الثقافة والعلم والقدرة على التعبير دون اللجوء إلى مصطلحات بلاغية يقيس عليها.

---

(١) سورة القلم، آية ١٦ .

(٢) سورة الرحمن، آية ٢٤ .

(٣) الصاحبي، ص ٣٧ .

٥

كتاب « البرهان في علوم القرآن » للزركشي

تعرض الزركشي في كتابه « البرهان في علوم القرآن » إلى قضية إعجاز القرآن ، والقاريء لهذا الكتاب يدرك كيف أن مؤلفه فرق بين البلاغة بوصفها علماً والبلاغة باعتبارها فناً، ندرك ذلك من خلال ما عرضه المؤلف من أقوال لابن أبي حديد يقول :

وليس كل من اشتغل بالنحو أو باللغة أو بالفقه كان من أهل الذوق، وممن يصلح لانتقاد الكلام، وانما أهل الذوق هم الذين اشتغلوا بعلم البيان وراضوا أنفسهم بالرسائل، والخطب ، والكتابة، والشعر ، وصارت لهم بذلك دربة وملكة تامة، فإلى أولئك ينبغي أن يرجع في معرفة الكلام وفصل بعضه عن بعض .

يكشف هذا النص عن فهم دقيق لمعنى البلاغة باعتبارها علما . وبين البلاغة باعتبارها فنا. وكأن الزركشي يعترض على السكاكي وأضرابه ممن درسوا البلاغة بمصطلحات علمية، مغفلين الناحية الذوقية، فاستحالت البلاغة في أيامهم إلى علم جامد، كثير التفريعات، مما يصعب على الكثيرين فهمه واستيعابه. صحيح أن الزركشي أكد على استخدام المصطلحات البلاغية لفهم النص القرآني، ولكنه في الوقت ذاته أشار إلى أن المصطلحات البلاغية التي وضعها السكاكي وأضرابه لم تكن الغاية من

البلاغة العربية، « وإنما هذه المصطلحات وسائل لحلقة أخرى وهي استخدام هذه المصطلحات البلاغية في الكشف عن جماليات فن القول العربي » [1] .

ولعله من المفيد أن نشير إلى أن « الزركشي » أشار إلى ضرورة إدراك الناحية الذوقية في فهم المصطلحات البلاغية، جاء ذلك عند حديثه عن مقامات الكلام ونقل قول ابن أبي حديد :

« اعلم أن معرفة الفصيح والأفصح، والرشيق والأرشق، والجلي والأجلى، والعلي والأعلى، من الكلام أمر لا يدرك إلا بالذوق، ولا يمكن إقامة الدلالة المنطقية عليه » [2]

يشير هذا النص صراحة إلى فهم دقيق لمعنى البلاغة باعتبارها فنا . وهي إشارة إلى وجوب استخدام البلاغة استخداماً وظيفيا له صلة قوية بمناشط الحياة المختلفة، وبذلك تحول الدرس البلاغي عنده إلى وسيلة من وسائل عرض الأفكار، وهذا التوجه نجده الآن في دراسات المحدثين من النقاد، والذين ردوا صفة الجمال إلى الناحية الذوقية فتحدثوا عن الصورة وعن أثر الخيال في تحقيق الصورة الأدبية، وعن وحدة العمل الأدبي.

---

(١) فصول في البلاغة، ١٧٤ .

(٢) البرهان ١٢٤/٢ .

٣- اللغة والبلاغة

النظام اللغوي هو مجموعة القوانين والأحكام التي تحكم اللغة وتخضع لها ألفاظها وعباراتها، ويلتزم بها أبناؤها التزاماً يعينهم على التفاهم وتبادل الخبرات .

وتخضع اللغة عادة إلى نظم معينة ومستويات مختلفة أولها المستوى الصوتي ، فاللغة هي مجموعة من الأصوات تحدثها أجهزة النطق من مخارج معينة ولها صفات خاصة، وقد اصطلح أن يكون لهذه الأصوات رموز عند الكتابة وهي الحروف، فإذا اختلف هذا الصوت اختلف شكل الحرف، ويؤدي هذا الاختلاف إلى اختلاف في المعنى ومثال ذلك اختلاف نطق المدن عن أهل الريف كقولهم :

« عندي ألم » يريدون « قلم » فهناك فرق بين « ألم » و « قلم » من حيث المعنى. وكقول أهل الريف هو ظالع في الأمر، يريدون « ضالع » فقد أدى اختلاف النطق إلى اختلاف في الحرف ثم إلى اختلاف في المعنى.

ويأتي مستوى آخر من مستويات اللغة هو المستوى الصرفي، ويختص بمعرفة صياغة الأبنية من حيث المجرد والمزيد، والإعلال والإبدال، ومعرفة المشتقات وأوزانها.

والمستوى الثالث هو المستوى النحوي ومهمته ضبط أواخر الكلمات حسب موقعها في الجمل، فإذا اختلف هذا الضبط ، أدى إلى اختلاف المعنى ومثال ذلك قوله تعالى :﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ . فلو رفعت لفظ الجلالة ونصبت لفظ « العلماء » لأدى إلى تغيير المعنى .

واللغة تعبير طبيعي عن الأفكار، لا يبذل الإنسان إزاءها إلا جهدًا يسيراً ، إذ إن التعبير الطبيعي عن الفكرة يكون عن طريق استخدام ألفاظ اللغة كأن نقول مثلا: ذهب أخوك إلى السوق، ورأيت أباك في المنزل. ومثل هذه التعبيرات الطبيعية يلجأ إليها الإنسان في التعبير عن حاجاته اليومية . فنحن في هذه الحال نستخدم معاني الألفاظ وهذا الاستخدام ينفعنا في تحديد الأفكار .

ولكننا إذا أردنا أن نحقق الجمال في التعبير، ونثير عواطف القراء، فإن المعنى المباشر للألفاظ يكون عاجزاً عن ذلك، ولا بد لنا أن نبحث عن وسائل تثير هذه العواطف وتحقق الجمال في التعبير. وهنا يأتي دور « البلاغة» وألوانها المختلفة من بيان وبديع فالأديب، لا يقبل بالمعنى المباشر، ولا يكتفي بالدلالة المباشرة للألفاظ ، لأن هذه الدلالة المباشرة لا توازي درجة عاطفته، لذا فهو يلجأ إلى أساليب خاصة يستطيع عن طريقها نقل تجربته إلى الآخرين. ولكي نوضح هذا الأمر نورد قول المتنبي :

رماني الدهرُ بالأَرزاءِ حتى ... فؤادي في غشاءٍ من نبالِ
فصرتُ إذا أصابتني سهامٌ ... تكسَّرت النِّصالُ على النِّصالِ
وهانَ فما أُبالي بالرزايا ... لأني ما انتفعتُ بأن أبالي

ماذا يريد المتنبي في قوله السابق ؟ يريد أن يخبرنا أن المصائب كثرت عليه حتى يئس من الراحة، فأصبح لا يبالي بالدهر.

كان في استطاعة المتنبي أن يعبر عما أحس به بهذه اللغة المباشرة، ولكن هل هذه اللغة المباشرة توازي درجة إحساسه بالضيق؟ الإجابة بالنفي . كان على المتنبي إذاً أن يبحث عن تشكيل لغوي يحمل درجة إحساسه ،

ويثير فينا عاطفة ساخطة كالعاطفة التي يعانيها، فلجأ إلى الأساليب البلاغية يستعين بها في نقل هذا الإحساس ، وهذه التجربة ، فاستعان بالتشبيه والاستعارة فالدهر في رأيه ليس شهوراً وأعواما، بل كائنا حيا يكيد له فينزل عليه المصائب، وهذه المصائب كأنها نبال كونت غشاءً على فؤاده فإذا جاءت مصيبة جديدة تكسرت على سابقاتها ، فلا تستطيع الوصول إلى فؤاده، فهان عليه الدهر، وأصبح لا يبالي بما تخفيه الأيام .

إن لغة الأدب شعرا كان أم نثرا، هي لغة مفعمة بالصور والأخيلة، وهي ذات أبعاد نفسية، لأن الأديب يودعها عاطفته وإحساسه وتجربته ، لينقل عن طريقها هذه العاطفة وهذا الإحساس إلى الآخرين. من هنا كانت لغة الأدب تختلف اختلافاً بيناً عن لغة الحياة اليومية .

ولا شك أن ألوان البلاغة من تشبيه أو استعارة أو كنابه أو جناس أو طباق ، تعين الأديب في توصيل تجربته إلى الآخرين، إلا أن هذه الألوان البلاغية لا تأتي متكلفة، بل تأتي عفو الخاطر، فالعملية الفكرية تستدعي هذه الأنماط البلاغية، لأن المعاني تطلب الألفاظ كما قال عبد القاهر الجرجاني .

ويتضح هذا الأمر إذا حاولنا نثر قصيدة شعرية . حاول أن تنثر قول البحتري في رثاء المتوكل ثم وازن بين لغتك ولغة الشاعر.

يقول البحتري :

ولم أنسَ وحشَ القصرِ إذ ربعَ سِربُهُ وإذ ذُعِرَت أطـــــلاؤُهُ وجآذِرُه
وإذا صِيحَ فيهِ بالرحيلِ فَهُتِّكَـــــت عـــلى عـــجلٍ أستارُهُ وستائرُه

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الثاني

تاريخ علوم البلاغة العربية

ترتبط علوم البلاغة العربية بفنون القول وعلومها المختلفة من شعر ونثر ولعل السبب في ذلك أن علوم البلاغة ترتبط بالكلمة وبمعانيها الدلالية المتطورة عبر العصور .

ولقد عرف العرب الخصائص الفنية التي تضفي على كلامهم صفة الحسن والجمال إلا أن هذه المعرفة كانت مبنية على الحس الفطري، ولم تكن قائمة على دراية بأنواع الأساليب البيانية ومصطلحاتها التي عرفت بعد ذلك .

لقد اهتدى الشاعر الجاهلي بحسه الفطري إلى بعض الأساليب التي تؤثر في جمال الشعر وحسنه وقد تكون هذه الأساليب تَمُتُّ إلى هذا العلم أو ذاك من علوم البلاغة العربية، وكان استخدامهم لهذه الأساليب البلاغية مبنيا على السليقة، تماما كما كانوا يرفعون الفاعل وينصبون المفعول به قبل أن يظهر النحاة ويضعوا قواعد الفاعل والمفعول . وحكومة أم جنـــدب

الطائية بين امريء القيس وعلقمة الفحل مشهورة [1] ، وكانت سوق عكاظ في الجاهلية مجتمعاً للعرب، ومعرضا لأشعارها ، فكان الشعراء يحتكمون إلى النابغة فيصدر بحسه الفطري أحكاما تنم عن ذوق بمحاسن الكلام أو قبحه، فيستحسن أشعاراً ، ويستكره أشعارا .

وعندما نزل القرآن الكريم آمن به العربي واعتنق الدين الجديد لما أدركه بذوقه السليم من خصائص الجمال في النص القرآني، لقد أدرك أن نزول القرآن كان حدثا بلاغيا تحدى الإنس والجن على أَنْ يأتوا بشيء من مثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، فكان اعتناقه للإسلام حكما نقديا أدركه بطبيعته الصافية، بل إنَّ العربي رفض سجع الكهان لأنه يدرك أن مثل هذا الأسلوب خارج عن مألوفه .

لقد كان القرآن الكريم حدثا عظيما صعق الذين كفروا باعجازه، وهذا الوليد بن المغيرة يعترف عندما سمع النبي (ص) يقرأ القرآن فيقول: « والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر، ما يقول هذا بشر »[2] هذه الأخبار تدل على أن العربي أحس أن لغته قد أصابها تغير، وكان لاَ بد أن يلتفت إلى هذه المزايا التي حققت هذا الجمال في النص القرآني، إلا أن انشغال العربي في الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين صرفهم عن أمر هذه الدراسة واتجهوا إلى التدين بما جاء به القرآن من أحكام دينية وتشريعية . وكان نفر من المسلمين يقومون بهذه الأمور وسموا بعد ذلك بالفقهاء.

---

(١) المرزباني، الموشح، ٢٨-٣٠ .

(٢) النظرية النقدية عند العرب، ٥٧ .

وبعد أن انتقلت الخلافة إلى الأمويين، وانتقلت الخلافة من المدينة إلى دمشق، ودخلت عناصر غير عربية في الإسلام، ظهر اللحن في كلام الناس، وكان ذلك بداية تطور جديد لم ينل منه الدرس البلاغي شيئا، فقد فكر علماء اللغة في استقرار قواعد اللغة حتى يتم تيسير تعليمها لأبناء البلاد المفتوحه ولمحاولة القضاء على ظاهرة انتشار اللحن . واشترك بعض الموالي في هذه الدراسات، مما أدى إلى أن يكون له رأي في وظيفة اللغة واتخاذها وسيلة للتعبير من حيث تطورها الدلالي، فكان ظهور النحو اللبنة الأولى في سبيل ظهور الدرس البلاغي، لأن النحو يمثل مجموع القواعد التي تحدد طرائق بناء الأسلوب، وكانت الغاية من الدراسات البلاغية التي ظهرت في هذا العصر هي العناية بالنص القرآني فتضافرت بذلك عوامل عدة دفعت إلى الخوض في الدراسات البلاغية كان أهمها :

أولا : خدمة القرآن الكريم والبرهنة على إعجازه . وقد أشار **أبو هلال العسكري** إلى ذلك فقال :

« أعلم – علمك الله الخير، ودلك عليه، وقيضه لك، وجعلك من أهله – أن أجل العلوم بالتعليم ، وأولاها بالتحفظ – بعد معرفة الله جل ثناؤه – علم البلاغة، ومعرفة الفصاحة، الذي يعرف به إعجاز كتاب الله تعالى »[1]

وألفت في ذلك كتب كثيرة، فقد ألف **واصل بن عطاء** (٨٠ – ١٣١ هـ) كتاباً في معاني القرآن، وألف **مؤرج السدوسي** (ت ١٩٥ هـ)كتاباً في غريب القرآن، **ولقطرب** كتب في معاني القرآن منها كتاب: « **معاني**

---

(١) الصناعتين، ١، ٢ .

القرآن » وكتاب « **غريب القرآن** ». لقد كان للقرآن الكريم تأثير كبير في تعرض هؤلاء المؤلفين للدراسات البلاغية مما حدا **بابن خلدون** أن يقرر: إن ثمرة علم البلاغة إنما هي في فهم الإعجاز من القرآن [1] .

ثانيا : تعليم الناشئة اللغة العربية ومعرفة أساليبها . فقد اتسعت رقعة الدولة الإسلامية، ودخل في الإسلام أقوام من غير العرب مما أدى إلى ظهور اللحن في اللغة، يضاف إلى ذلك أن هذه العناصر كانت بحاجة إلى تعلُّم العربية حتى تستطيع العيش في دولة لغتها العربية، كما كانت المقدرة الكتابية من الأسباب التي تؤدي إلى الوصول إلى أرقى المناصب.

ثالثا : القدرة على تمييز الكلام الحسن من الرديء . ولا شك أن البلاغة تعين على ذلك وقد أشار **أبو هلال العسكري** إلى ذلك فقال : « ولهذا العلم بعد ذلك فضائل مشهورة ومناقب معروفة، منها أن صاحب العربية إذا أخل بطلبه، وفرط في التماسه، ففاتته فضيلته وعلقت به رذيلة فوته، عفى على جميع محاسنه، وعمي سائر فضائله ؛ لأنه إذا لم يفرق بين كلام جيد، ولفظ حسن وآخر قبيح، وشعر نادر وآخر بارد، بان جهله وظهر نقصه [2] .

كانت تلك أهم العوامل التي أدت إلى الخوض في الدراسات البلاغية ومعرفة أصولها وفنونها، فكان لها الفضل في تحديد مصطلحات كل فن من الفنون البلاغية وإن تأخر ذلك قليلا .

وعندما انتقلت الخلافة إلى العباسيين، وانتقلت عاصمة الخلافة من

---

(١) البحث البلاغي عند العرب، ٣٠ .
(٢) الصناعتين، ص ٢-٣ .

دمشق إلى بغداد ، بدأ الفكر الإسلامي يستأنف نشاطه في مرحلة جديدة من حياته إذ تحددت مظاهر الدراسات المختلفة وظهر نوع من التخصص في مختلف العلوم ومنها العلوم البلاغية.

ومن أهم العلوم التي نشطت في هذا العصر الفلسفة . ولعل السبب في ذلك أن مواطني الدولة من العرب وغيرها من الأمم كانوا يتمتعون بنوع من الطمأنينة، فلم يعد التعصب للعرب والعربية هو الغالب على سلوك الناس. وفي غمرة هذه الدراسات وظهور الآراء والمذاهب ظهر الحس النقدي . فرأينا الشعراء يراجعون المواريث الفنية في أشعارهم فيثورون عليها ويقررون أن التغيير الاجتماعي لا بد أن يصاحبه تغيير في الإنتاج الأدبي ، فظهرت اتجاهات مختلفة، ومنها قضية القديم والجديد .

عاشت قضية القديم والجديد في بيئتين مختلفتين :

الأولى : البيئة اللغوية واهتم أنصار هذه البيئة بدراسة ألفاظ اللغة واستقرائها ونظروا في وجود التعبيرات المختلفة التي يمكن الاطمئنان إلى صحتها فاهتموا بالشواهد اللغوية المأثورة التي يصل إسنادها إلى عربي لم تخالطه عجمة ولم يفسد لسانه تحضر، وعلى هذا المقياس وقف هؤلاء اللغويون عند حدود القرن الثاني الهجري . فرأوا بأن بشاراً بن برد وأبا نواس ومسلم وأبا تمام والبحتري وأضرابهم ليس لهم حظ من التوثيق .

الثانية : بيئة النقاد وهؤلاء كان جلّ همهم الإخلاص في دراسة الظواهر الفنية كما يمثلها الشعر. وتحددت فكرة القديم والجديد عندهم بعمود الشعر ويمثلهم **ابن قتيبة** في كتابه **الشعر والشعراء**. ويبدو أن المتعصبين لعمود الشعر كانوا أكثر من الثائرين عليه، ومع ذلك فقد تطور

النظر في هذه القضية حتى أننا نجد **ابن قتيبة** يرفض في شدة القول بها ويرى أن ما هو جديد اليوم سيصبح قديما يقول :

« ولم يقصر الله العلم والشعر على زمن دون زمن، ولم يخص به قوما دون قوم، بل جعل كل قديم حديثا في عصره وكل شرف خارجية في أوله . فقد كان جرير والفرزدق والأخطل . وأمثالهم يعدون محدثين ، وكان أبو عمرو بن العلاء يقول : « لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت بروايته »[1] .

وتعرض النقاد إلى قضية الطبع والصنعة وكثر الحديث حولها. وفي هذا العصر تخصص قوم في الكتابة، حتى أصبح هؤلاء الكتاب يؤلفون طائفة بعينها. وكانت لهم طريقتهم في الكتابة من حيث تنسيق العبارة، ودقتها، وظهرت مدارس لها أساليب متيمزة يمثلها كتاب مشهورون من أمثال: **عبد الحميد الكاتب، وابن المقفع، والجاحظ، وابن العميد** .

لقد كانت هذه الاتجاهات المتعددة في اللغة والأدب، والتشريع، والفلسفة والكتابة، تسعى إلى فهم النص فهما يعتمد على البصر باللغة وأساليبها. وكان لكل هذه المظاهر أثر واضح في نشأة علوم النقد والبلاغة العربية إذ نشأت نشأة علمية تقوم على الدراسة الواعية والاستقرار والتعليل الواضح . كما كان لهذا التطور العلمي أثر في ظهور كتب تحمل اسم المعاني **كمعاني القرآن للفرّاء، ومعاني القرآن لقطرب، ومجاز القرآن لأبي عبيدة**. ويذكر أن السبب الذي حمل **أبا عبيدة** على تأليف كتابه

---

(١) الشعر والشعراء ١٠-١١ .

« مجاز القرآن » أنه سئل عن معنى قوله تعالى[1] ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ فألف كتابه « **مجاز القرآن** » .

وظهر **الجاحظ** في القرن الثالث الهجري ليمثل هذه التيارات المختلفة، ولعل كتابه « **البيان والتبيين** » يوضح الدوافع العامة التي دفعته إلى تأليف هذا الكتاب. لقد كان **الجاحظ** يدين بمذهب الاعتزال، فأثر هذا الاعتقاد في ثقافته ، واتسعت أبعاد هذه الثقافة فكتب كتابه « **الحيوان** »، كما كتب كثيراً من الرسائل فكانت كتاباته تمثل عصره خير تمثيل، وهي شاهد حقيقي على الاحتكاك اللغوي والديني والمذهبي والبياني الذي تطور في عصره، ومن يقرأ كتب **الجاحظ** يدرك كيف أنه كان يطيل القول فيما أثاره **بشر بن المعتمر** في رسالته المشهورة في حديثه عن ضرورة ملاءمة الكلام للسامع، ووجوب خلو الكلام من التنافر والتعقيد، وأن اسلوب الكلام ينبغي أن يكون وسطاً بين الاعراب والابتذال ، وتحدث عن الجزالة في الكلام، وتحدث الجاحظ عن الخطابة وتعرض للسرقات الشعرية وأضاف على ما ذكره ابن سلام الاعتماد على التحليل الداخلي. وتحدث عن ضروب البلاغة عند الهنود والفرس واليونان، ومع أن حديثه كان عبارة عن إشارات ، فإن هذه الإشارات تدل على تفاعل المجتمع الإسلامي مع غيره من المجتمعات.

ويبدو أن المصطلحات البلاغية تحددت في بيئة المتكلمين الذين لم يكونوا بعيدين عن التيارات الفكرية الجديدة التي طرأت على المجتمع الإسلامي، ويبدو كذلك أن عصر **الجاحظ** كان العصر الذي بدأت تتحدد

---

(١) سورة الصافات، آية ٦٥ .

فيه بدايات الدرس البلاغي في صورة منظمة، فقد ذكر في كتابه « **البيان والتبيين** » مطابقة اللفظ للمعنى، وتحدث عن خلو الكلام من التنافر، والتكلف، والتعقيد، ونوه إلى مطابقة الكلام لمقتضى الحال، بل إن **الجاحظ** رأى أن اللغة ينبغي أن تساير التدرج الاجتماعي ومن الطريف أن هذه القضية أثارها النقاد في مطلع القرن العشرين. كذلك فإن فكرة المجاز كانت لها المكانة الأولى لارتباطها بأمور دينية، ولارتباطها بفكرة الرمز في اللغة خاصة عند المعتزلة، ولسنا بصدد التفصيل في هذا الأمر، ومن هنا يمكن القول إن الاصطلاحات البلاغية ظهرت واضحة في مطلع القرن الرابع على يد المتكلمين وكان من أظهرهم المعتزلة وقد أشارة **أبو هلال العسكري** في كتابه « **الصناعتين** » إلى طريقة المتكلمين في درس البلاغة ولم يكن **العسكري** من أنصارها وسبب ذلك أنه يرى أن المتكلمين قصروا في هذا الدرس وصبغوه بالصبغة الدينية قاصدين بذلك تحقيق قضية الإعجاز القرآني ، وكان العسكري يرى أن في هذا شيئاً من التعصب الذي لا يرتكز على أساس من الإدراك الفني والجمالي لطاقات اللغة .

ولعل **عبدالقاهر الجرجاني** خير من يمثل قمة المتكلمين في درس تقنية الإعجاز في حديثه عن قضية اللفظ والمعنى ونظرية النظم وملخص هذه النظرية أن الكلمة تستمد معناها من السياق وأنه لا فضل للفظ على معنى، أو معنى على لفظ بل إن العملية الفكرية هي التي تحقق عملية الإبداع . فلم يعد علم النحو عند عبدالقاهر الجرجاني هو العلم الذي يبحث في ضبط أواخر الكلم، بل هو العلم الذي يحدد معنى الكلمة في السياق، وبهذا وحد بين علم النحو وعلم البلاغة، ويعد **عبدالقاهر الجرجاني** بهذه النظرية الواضع الحق لأصول البلاغة العربية .

وهناك جانب آخر ينبغي التحدث عنه وهو جانب الصنعة في الشعر والنثر، فقد ظهر اتجاه جديد في العصر العباسي يميل إلى تحسين الأسلوب بالإتيان بألفاظ متجانسة أو مسجوعة أو بالإتيان بألفاظ متباينة المعنى وأثارت هذه القضية كثيراً من النقاش واصطلح القوم على تسميتها بالبديع شعوراً منهم بجدة الموضوع ، ولعل أول من وضع هذه المصطلحات هو **ابن المعتز** في كتابه الموسوم بـ « **البديع** » ونظروا إلى هذه المحسنات على أنها وسيلة لتزيين الأسلوب، إلا أن عبد القاهر الجرجاني جعلها جزءا من العملية الفكرية التي تؤثر في العمل الأدبي، وينبغي أن نشير إلى أن البديع كان أهم أبواب البلاغة التي استأثرت بعناية الدارسين، ولعل السبب في ذلك أن البديع صناعة، والعصر الذي ظهر فيه البديع كان عصر صناعة في كل شيء حتى في الألفاظ .

كان من نتيجة ذلك أن العناية بالبديع حددت النقاد والبلاغيين في إطار ضيق، وحتى أولئك الذين كتبوا في النقد الخاص كصاحب **الموازنة** وصاحب **الوساطة** لم يخرجوا عن هذا الإطار ، نلحظ هذا الاتجاه عند **الجرجاني** في الوساطة فقد حاول أن يضع أصول نظرية نقدية تعتمد على النظرة الموضوعية، فقد أشار إلى أن صياغة اللغة لا ترتبط جودتها بعصر دون عصر، **فامرؤ القيس** يستوي مع **بشار**، وفوق ذلك كله كان **الجرجاني** يقدر التغير والتطور [1] ، إلا أن هذا التناول ظل خفيفا ولم يؤد إلى نظرية نقدية مستقلة. أما **الآمدي** في « **الموازنة** » فقد كان الفيصل عنده يعتمد على دقة النظر التاريخي وأثر الحياة العامة التي تُسَيِّرُ اللغة .

لقد تطور الفن القولي في القرنين الرابع والخامس الهجريين، وأدى

---

(١) الوساطة، المقدمة .

هذا التطور إلى تطور في الدرس البلاغي، كما أدى هذا التطور إلى نمو اللغة وشيوع الجدل والمناظرات في الفقه واللغة والأدب ، وبدأ النقاد والبلاغيون وعلماء اللغة ينظرون في آثار العصر السابق، خاصة في إنتاج الشعراء من أمثال المتنبي وابن الرومي، فقد كان المتنبي من معالم ذلك العصر حتى أن ابن رشيق ذكر في كتابه « العمدة » أن المتنبي ملأ الدنيا وشغل الناس، أما ابن الرومي فقد عني بتفصيل المعاني، وتشقيق القول، كما أن قصائده تختلف بشكل أو بآخر عن قصائد سابقيه من حيث الوحدة التي تسودها، وهو أمر خارج عن مألوف القصائد العربية ، يضاف إلى ذلك أن ابن الرومي تناول المعاني الاجتماعية في صور مجسمة . أما **أبو العلاء المعري** فقد سلك الاتجاه الفلسفي فتناول مسائل الحياة والموت، وقارن في « **رسالة الغفران** » بين الحياة والآخرة. إلا أن النقاد والبلاغيين أعرضوا عن مثل صنيع **أبي العلاء**، لأنهم كانوا يعدون هذا الاتجاه أقرب إلى الفلسفة، وكانوا ينظرون إلى أن الفلسفة يجب ألا تمد الأدب بروافد جديدة. ولذلك عد بعض النقاد **البحتري** هو الشاعر الذي يمكن النظر في شعره، لأنه يمتاز بجمال الديباجة، ودقة العرض، وروعة القول، وهذه المزايا لا تتصل بالفلسفة حسب رأيهم .

ويمكن القول إن البلاغة العربية أخذت تتجه إلى الصورة اللغوية وعلاقتها بالفكرة ويمثل هذا الاتجاه **عبدالقاهر الجرجاني** في كتابيه«**دلائل الإعجاز**»و « **أسرار البلاغة** » فقد وضع هذا الناقد نظرية نقدية متكاملة هي نظرية النظم، فقد نظر **عبدالقاهر** إلى اللغة نظرة إحاطة، ولم يقتصر نشاطه على جانب دون آخر، وقرر أن اللغة كل متكامل لا يمكن فصل جزء منه.

ولعل أهم ما تميز به **عبدالقاهر الجرجاني** نظرته إلى الفصاحة من

حيث أنها لا ترتبط باللفظ ولا تدور حول الصناعة اللفظية، ولكنها ترتبط بالمعنى والنظم، فاللفظ يكتسب معناه من السياق . ومهما يكن من أمر فإن **عبد القاهر الجرجاني** يرى أن النظم يرتكز على ثلاثة أمور :

١- إن اللفظة المفردة هي اللبنة الأولى في العمل الأدبي.

٢- أثر المعنى النحوي الذي تدل عليه هذه الألفاظ عن طريق تضامنها وتساوقها ومن حيث التقديم والتأخير .

٣- المعنى الثاني أو معنى المعنى وهو المعنى الدلالي الذي تكتسبه الكلمة من السياق. وعلى هذا الفهم يكون علم النحو وعلم البلاغة كلاً واحدا لا ينفصل أحدهما عن الآخر. لقد عد **عبدالقاهر** المعنى الثاني أو معنى المعنى مقياسا لبلاغة الأديب، وأن معنى المعنى هو الذي يحقق لصاحبه الامتياز عن غيره . وأشار **عبدالقاهر** إلى القوالب التي تصاغ فيها هذه المعاني كالتشبيه والاستعارة والكناية والمجاز وهو بهذا قد جمع أشتات أقوال النقاد بداية من **الجاحظ** وانتهاء به .

كان لعمل **عبدالقاهر الجرجاني** أثر كبير فيمن جاء بعده ممن تصدوا للدرس البلاغي وكان على رأس هؤلاء « **السكاكي** » في كتابه « **المفتاح** » ، فقد تحدث عن النحو والصرف باعتبارهما الأداتين اللتين يصح الأسلوب بهما وقسم البلاغة إلى أقسامها الثلاثة : **علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع. فعلم المعاني عنده هو العلم الذي تعرف به مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته ، وعلم البيان هو العلم الذي يعرف به إيراد المعنى بطرق مختلفة، والبديع هو العلم الذي يعرف به تحسين الكلام .**

لقد فصل **السكاكي** بين بحوث البلاغة العربية فحدد علم المعاني في الخبر والإنشاء، والتقديم والتأخير، والقصر، والفصل والوصل، والإطناب

والإيجاز والحذف والمساواة، وجعل علم البيان مكونا من الاستعارة والكناية والتشبيه، أما علم البديع فقسمه إلى محسنات لفظية وأخرى معنوية.

وكان كتاب « **مفتاح العلوم** » **للسكاكي** هو الكتاب الذي نهضت عليه الكتب المتأخرة حتى عصرنا هذا، ومن هذه الكتب كتاب: « **التلخيص** » وكتاب « **الإيضاح** » وكلاهما **للخطيب القزويني**. ومن الكتب المتأخرة كتاب « **البلاغة الواضحة** » **لعلي الجارم ومصطفى أمين** .

لقد فصل السكاكي ومن جاء بعده بين علوم البلاغة، ويبدو أن هذا الفصل جاء نتيجة لركود الحياة الأدبية منذ القرنين السابع والثامن الهجريين، فلم يعد هناك إبداع في صور شعرية، بل سادت الصنعة على الإبداع، لهذا اهتم الأدباء بألوان البديع من جناس وسجع وطباق، وأسرف الأدباء في استخدام الألوان البديعية على حساب المعنى، وأدى هذا الركود إلى ركود في الدرس البلاغي واهتم به الفقهاء والمفسرون محاولين عن طريقة الكشف عن طاقات النص المختلفة متوخين بذلك التوسع في العمل التشريعي، وأخذ بعض المفسرين يستغل الدرس البلاغي تأييداً لمذهبه كما فعل « **الزمخشري** »، وكان استخدامهم للبلاغة استخداماً آلياً كما هو الحال عند **أبي حيان** في كتابه « **البحر المحيط** » ، ومن يرجع إلى هذا الكتاب يدرك هذه الآلية في التطبيق إذ كان يقول مثلا :

« وفي الآية من البلاغة جناس مطابقة وتقديم وتأخير » دون أن يشير إلى آثار هذه الأنواع في المعنى. لقد كان استخدام هؤلاء المفسرين استخداماً آلياً مما أدى إلى جمود في الدرس البلاغي فانتهى هذا الدرس البلاغي إلى التقسيم والتحديد دون النظر في أثر النواحي البلاغية في المعنى.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الثالث

التشبيه وقيمته

التشبيه هو « **الدلالة على مشاركة أمر لأمر** » من هذا التعريف ندرك أن هناك أمرين الحقنا أحدهما بالآخر أو شارك أحدهما الآخر وأن هناك معنى جمع بين هذين الأمرين، وأداة ربطت أحدهما بالآخر ، والرابط بينهما أداة التشبيه . تلك إذن أمور أربعة وهي التي سموها أركان التشبيه. فالأمران هما : المشبه والمشبه به ، والرابط هو أداة التشبيه ، والمعنى الذي اشترك الأمران فيه وجُمِعَ بينهما من أجله هو وجه الشبه

ومن الممكن الاستغناء عن بعض هذه الأركان، وسبب هذا الاستغناء أنها معلومة فيقدرها السامع أو القائل ، وهذا الاستغناء يسبب تنوعا في التشبيه . أما الذي يمكن أن نستغني عنه من أركان التشبيه فهو وجه الشبه وأداة التشبيه. أما ما لا يمكن الاستغناء عنه فهو المشبه والمشبه به حيث هما طرفا التشبيه. فإذا حذف أحدهما خرج الكلام عن كونه تشبيها وأصبح من باب الاستعارة .

ولقد قال كثيرون إن التشبيه وسيلة للوصول إلى الاستعارة، والتشبيه يحدث أثرا في النفس يختلف عن الآثار التي يحدثها غيره من الأساليب البلاغية، وذلك أن المجاز والكناية لا تدركهما النفس بيسر وسهولة، كا أن الدائرة التي يؤثر فيها التشبيه أوسع من الدوائر التي يؤثر فيها غيره. لذلك كثر ورود التشبيه في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ورد في كلام البلغاء من الأقدمين والمحدثين. وكان التشبيه من الأساليب التي أشار إليها الأقدمون مثل **أبي عبيدة والفراء والجاحظ والمبّرد**. وهناك إشارات لطيفة **لأبي هلال العسكري** في هذا الباب حيث يقول « **التشبيه يزيد المعنى وضوحا ويكسبه تأكيدا** » [1]

وقد ورد التشبيه في القرآن الكريم في أكثر من موطن، وهذا دليل على أهميته في توصيل المعنى، وقد أورد **الزمخشري** الآية القرآنية التالية للدلالة على أهمية التشبيه في القرآن الكريم . قال تعالى[2]: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ وقال تعالى[3]:

﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ .

ولأهمية التشبيه فقد قال فيه **عبدالقاهر الجرجاني** : « إذا جاء التمثيل في أعقاب المعاني، كساها أبهة، ورفع من أقدارها » .

وتظهر قيمة التشبيه في أننا لا نستغني عنه في المدح، ولا في الذم، ولا في الاحتجاج ، ولا في الافتخار، ولا في الوعظ ، فهو في كل الميادين أداة طيعة سهلة لإيصال المعنى .

---

(١) كتاب الصناعتين، ص ١٨٣ .

(٢) سورة البقرة، آية ١٧ .

(٣) سورة العنكبوت، آية ٤٣ .

ومثال إيراد التشبيه في المدح قول **البحتري** يمدح يعقوب بن إسحاق بن نوبخت [1]:

دانٍ إلى أيدي العُفاةِ وشاسعٌ عن كلِّ نِدٍّ في النَّدى وضَريبِ
كالبدرِ أفرطَ في العُلوِّ وضَوؤُهُ للعصبةِ السَّارينَ جِدَّ قريبِ

ومثال إيراد التشبيه في الذم ما أورده مروان بن أبي حفصة :

زواملُ للأشعارِ لا علمَ عندَهم بجَيِّدِها إلا كعلمِ الأباعِرِ
لعَمركَ ما يدري البعيرُ إذا غدا بأوساقِهِ أو راحَ ما في الغرائرِ

ومثال ورود التشبيه في أسلوب الاحتجاج قول أبي ذؤيب يحتج على استحالة اجتماعه وابن اخته على عشق امرأة واحدة [3]:

تريدينَ كيما تجمعينيَ وخالداً
وهل يُجمع السيفانِ ويحَكِ في غِمدِ

ومثال وروده في الافتخار قول **المتنبي** :

كم تطلبونَ لنا عيباً فيعجزكُم ويكرهُ اللهُ ما تأتونَ والكرمُ
ما أبعدَ العيبَ والنقصانَ عن شِيَمي أنا الثُّريا وذانِ الشيبُ والهرَمُ

ومثال ورود التشبيه في الوعظ قول **صالح بن عبد القدوس** :

إذا وتَرْتَ امرءاً فاحذَرْ عَداوتَهُ من يزرعِ الشوكَ لا يحصُدْ بهِ عِنَبا

(١) ديوان البحتري، ١/١١٤ .
(٢) أسرار البلاغة، ص ١٠٣ .
(٣) ديوان أبي ذؤيب، ص ٣٣ .

كل هذه الأمور هيأت للبرقوقي أن يقول: إن التشبيه كنز من كنوز البلاغة ، ومادة الشاعر المفلق، والكاتب البليغ في الإبداع والإحسان والاتساع في طرق البيان [1].

أركان التشبيه

للتشبيه أربعة أركان هي: المشبه، والمشبه به، ووجه الشبه، وأداة التشبيه. وقد سمي المشبه والمشبه به ركنا التشبيه أو طرفا التشبيه، وإذا حذف أحدهما خرج الكلام إلى الاستعارة .

طرفا التشبيه

وطرفا التشبيه قد يكونان محسوسين ، وقد يكونان معقولين، وقد يكون المشبه معقولاً والمشبه به محسوسا أو على العكس. والمحسوس ما يدرك بواحدة من الحواس الخمس، بالبصر مثلا كقول الشاعر[2] :

وقد لاحَ في الصبحِ الثُّريا لمن رأى كعنقودِ مُلَّاحِيَّةٍ حينَ نَوَّرا

أو بالسمع مثلا، كقول **ذي الرمة**[3]:

كأنَّ أصواتَ مِنْ ايغالِهِن بنا أواخِرِ المَيسِ إنقاضُ الفراريجِ

أو ما يدرك بالذوق كقول **امرىء القيس** :

---

(١) التلخيص في علوم البلاغة، شرح البرقوقي، ص ٢٤٢ .

(٢) الأغاني، ١٥/١٥٩ .

(٣) اللسان، مادة نقض. شبّه صوت الرحال بأصوات الفراريج. وفي البيت تقديم وتأخير أراد: كأنَّ أصواتَ أواخرِ المَيس إنقاضُ الفراريج إذا أوغلت الركاب بنا أي أسرعت. والنقيض الصوت.

كأنَّ المُدامَ وصوب الغَمـــــامِ ونشرَ الخُزامـــــى وريحَ القطرْ
يُعَلُّ بـــــهِ بردُ أنيابِهـــــا إذا طـــربَ الطـــائرُ المُستَحِر

ومنه ما يدرك بحاسة اللمس كقول ذي الرمة :

لها بَشَرٌ مِثْلُ الحَرير ومنطِـــقٌ رخيمُ الحواشي لا هُراءٌ ولا نَزْرُ

أما الطرفان العقليان فهما ما يدركهما العقل كالإيمان، والكفر، وكل ما يدخل الوجدان كاللذة والألم والحب والبغض والخوف والطمأنينة .

أدوات التشبيه

هي ما يربط بين المشبه والمشبه به، وقد تكون الأداة حرفا أو فعلا أو اسما. أما الأدوات الحروف فهي :

أ – الكاف ومثالها : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ ﴾[1]
ب– كأن ، ومثالها : ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴾ [2]

أما الأدوات الأفعال فقد تأتي من الألفاظ التالية : يحكي، ويشبه . ومثاله قول الشاعر :

وطنبورٍ مليحِ الشكلِ يحكـــــي بنغمتِهِ الفصيحةِ عَندليـــبا

ومن الأدوات الأسماء ما ورد في قول **أبي بكر الخالدي** :

---

(١) سورة النور، آية ٣٩ .
(٢) سورة الرحمن، آية ٥٨ .

يا شبيهَ البدرِ حُسناً وضيـاءً ومَنـالا
وشبيهَ الغُصنِ لينـاً وقواماً واعتـدالا

ومن الممكن ورود أفعال اليقين لتفيد ما تفيده أدوات التشبيه فنقول:

رأيت هنداً بدراً ،
وعلمت خالداً أسداً

وتحذف الأداة إذا دلّ عليها دليل فنقول :العلم نور، وخالد سيف، وحمزة أسد .

وجه الشبه

وهو المعنى الذي يلحظه المتكلم للجمع بين المشبه والمشبه به وهو إما أن يكون حسيا أو عقليا، وإما أن يكون مفرداً أو متعددا، كما قد يأتي صورة منتزعة من متعدد. ومثال الحسي قول الأقرع القشيري :

وتأخذُهُ عِندَ المكارِمِ هَـزَّةٌ كما اهتزَّ تحتَ البارِحِ الغُصُنُ الرَّطْبُ

فوجه الشبه هنا يدرك بالبصر .

ومثال وجه الشبه العقلي قول الشاعر[1] :

وقد صارَ هذا الناسُ إلاَّ أقلُّهُم ذِئاباً على أجسادِهِنَّ ثِيـابُ

ومثال المفرد قولنا : « هو كالأسد في الشجاعة » ومثال المتعدد قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأُترجه طعمها طيب وريحها طيب [2] .

---

(١) ديوان أبي فراس الحمداني، جمع وتعليق سامي الدهان، ٢٢/٢ .
(٢) رواه البخاري، باب فضل القرآن، ١٩١٧/٤ .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الرابع

الحقيقة والمجاز

اللفظ إما أن يستعمل على وجه الحقيقة، أو المجاز. أما الحقيقة فهي دلالة اللفظ على المعنى الموضوع له في أصل اللغة. والمجاز ما خالف الحقيقة. وقد عرفه ابن الأثير بأنه « ما أريد به غير المعنى الموضوع له في أصل اللغة »[1]

وقد قسم البلاغيون المجاز إلى قسمين: المجاز العقلي والمجاز اللغوي.

المجاز العقلي أو الإسنادي : وهذا النوع من المجاز تستعمل فيه الألفاظ المفردة في موضوعها الأصلي ويكون المجاز عن طريق الإسناد أو التركيب . ومن أمثلته قولهم « نهارك صائم وليلك قائم » وقوله تعالى[2] ﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ ﴾ قال عبد القاهر[3]: « أنت ترى مجازا في هذا كله ولكن لا في ذوات الكلم وأنفس الألفاظ ولكن في أحكام أجريت عليها. أفلا ترى أنك لم تتجوز في قولك «نهارك صائم» و « ليلك قائم .. » في نفس « صائم » و « قائم » ولكن في أن أجريتهما خبرين على النهار والليل. وكذلك ليس المجاز في الآية في « ربحت » ولكن في إسنادها إلى

(١) المثل السائر، ٥٨/١ .
(٢) سورة البقرة، آية ١٦ .
(٣) دلائل الإعجاز، ٢٨٨ .

التجارة... أفلا ترى أنك لا ترى شيئا منها إلا وقد أريد به معناه الذي وضع له على وجهه وحقيقته فلم يرد بـ « صائم » غير الصوم ، ولا بـ « قائم » غير القيام ، ولا بـ « ربحت » غير الربح ... » .

ومن أمثلته أيضا :

أنبت الربيع البقل .

وقوله تعالى [1] : ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾

وقوله تعالى[2] ﴿ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾

وقول المتنبي :

وتحيي له المالَ الصوارمُ والقنـــا ويقتلُ ما تحيي التبسُّمُ والجَـدا

وقول أبي فراس :

سيذكُرني قومي إذا جَدَّ جُدُّهُمْ وفي الليلةِ الظلماءِ يُفْتَقَدُ البـدرُ

وقوله تعالى: [3] ﴿ عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾.

المجاز اللغوي

وهو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في أصل اللغة بقرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي، لعلاقة بين المعنيين الحقيقي والمجازي، فإذا كانت العلاقة هي المشابهة فهو استعارة وإذا كانت غير المشابهة فهو مجاز مرسل .

---

(١) سورة الأنفال، آية ٣ .

(٢) سورة الزلزلة، آية ٢ .

(٣) سورة القارعة، آية ٧ .

الاستعارة

(استعار) الشيء من فلان طلب منه أن يعيره إياه، ويقال : أرى الدهر يستعيرني ثيابي أي يأخذها مني، (يقوله الرجل إذا كبر وخشي الموت) والعارية ما يتداوله القوم بينهم .

والاستعارة فن بلاغي تداوله العرب في مأثورهم الأدبي والمسلمون في قرآنهم وأحاديث رسولهم صلى الله عليه وسلم، و كغيرها من فنون البلاغة اختلف العاملون في هذا الحقل في وضع تعريف لها ، بالرغم من اتفاقهم في الإطار العام لمفهوم الاستعارة ، فقال بعضهم: (الاستعارة تشبه حذف أحد طرفيه) وقال بعضهم: (الاستعارة هي نقل المعنى من لفظ إلى لفظ لمشاركة بينهما بسبب ما) .

وقد قال الجاحظ في تعريفه للاستعارة: إنها تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه [(١)] .

وقد عرفها ابن المعتز بقوله : إنها استعمال الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء قد عرف بها[(٢)] .

هذان التعريفان اللذان أثرا عن الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) وابن المعتز (ت ٢٩٦هـ) هما الأصل الذي روعي في محاولة العلماء لتعريف الاستعارة وتحديدها . وكل تعريف قديم أو مستحدث لا يخرج عن هذين التعريفين [(٣)] .

---

(١) البيان والتبيين، ١٥٣/١ .
(٢) البديع، ١٧ .
(٣) بدوي طبانة، البيان العربي، ص ٢٩٩ .

الاستعارة التصريحية

ومن خلال التعريفات السابقة تتضح أنواع الاستعارة. فالاستعارة تشبيه. وللتشبيه أركان، وغالبا لا نستكمل إيراد هذه الأركان داخل النص الكلامي، أو الجملة التي نعبر بها، حيث نكون محكومين لعدم الإيراد، إذ نختصر الوقت والجهد، والبلاغة هي الإيجاز، لذلك اعتمد البلاغيون في تقسيم الاستعارة على الأركان التي وردت. فإذا ورد المشبه به في الكلام فالاستعارة تصريحية، أما إذا حذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه فالاستعارة مكنية. وسأورد فيما يلي أمثلة تطبيقية لجلاء أمر هذين النوعين من أنواع الاستعارة .

١- قال المتنبي يصف دخول رسول الروم على سيف الدولة :

وأقبلَ يمشي في البساطِ فما دَرَى إلى البحرِ يسعى أم إلى البدرِ يرتقي

أ - شبه الشاعر سيف الدولة بالبحر في عطائه ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به وهو البحر للمشبه وهو سيف الدولة على سبيل الاستعارة التصريحية، والقرينة هي : « فأقبل يمشي في البساط » .

ب- شبه سيف الدولة بالبدر بجامع الرفعة ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به وهو البدر للمشبه وهو سيف الدولة على سبيل الاستعارة التصريحية والقرينة هنا « فأقبل يمشي في البساط » .

٢- إذا ما صافحَ الأسماعَ يوماً تبسمتِ الضمائرُ والقلوبُ

٣- وإذا السلاحُ أضاءَ فيهِ رَأى العِدا بـراً تألَّقَ فيهِ بحرُ حديدِ

٤- يا كوكباً ما كانَ أقصرَ عمـرَهُ وكذاكَ عمرُ كواكبِ الأسحـارِ
٥- ضوءٌ تشعشعَ في سوادِ ذوائبي لا أستضيءُ بهِ ولا أستصبـحُ
٦- ملأَت جوانِبُهُ الفضاءَ وعانقَت شُرُفاتُهُ قِطعَ السحابِ الـمُمطِرِ
٧- قال تعالى[1]: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾.

لقد شبه الله سبحانه وتعالى في الآية الكريمة الكفر بالظلمة، وشبه الإيمان والهداية بالنور، إلا أننا نلاحظ أنه حذف المشبه وصرح بالمشبه به. فالأصل: الكفر كالظلمات ، والهداية كالنور.

ولكن الله تعالى أراد بقوله الكريم أن يدلل أن المشبه به هو عين المشبه وهو أبعد مدى في البلاغة، فجميع صفات الكفر ألصقت بالظلمات، وجميع صفات الهداية ألصقت بالنور، ولكي نصل إلى هذا المعنى الجليل كان لا بد من حذف المشبه والتصريح بالمشبه به، هذا النوع من المجاز يسمى استعارة تصريحية .

مثال : قال المتنبي :

فلم أرَ مثلي منْ مشى البحرُ نحوَه ، ولا رجلاً قامت تعانِقُه الأُسْدُ

أراد المتنبي أن يقول : إن الممدوح كالبحر في عطائه وكالأسد في شجاعته ولكنه لو استخدم التشبيه على هذه الصورة لكانت الصفة المشتركة أقوى في المشبه به من المشبه، فهذا هو الأصل في التشبيه. فماذا فعل؟ تناسى التشبيه، وجعل المشبّه من جنس المشبه به، فاستغنى عن المشبه وصرح بالمشبه به .

---

(١) سورة إبراهيم، آية ١ .

الاستعارة المكنية

هي تشبيه حذف منه المشبه به وأبقي على شيء من لوازمه ليدل عليه، وسأورد مجموعة من الأمثلة، اعلق على بعضها لتوضيح الأمر :

١- قال ابن الرومي :

حَيَّتْكَ عنا شِمالٌ طافَ طائِفُها بجنَّةٍ نفَحَت روحاً وريحانا
هبَّت سُحَيْراً فناجى الغُصنُ صاحِبَهُ سُرًّا بها وتداعى الطيرُ إعلانا

٢- قال البحتري :

يُضاحِكُها الضُّحى طوراً وطُورا عليها الغيثُ ينسجمُ انسجاما

٣- وقال في الشيب :

ولُمَّةٍ كنتُ مشغوفاً بجِدَّتِها فما عفا الشيبُ لي عنها ولا صفحا

٤- وقال **ابن التعاويذي** في وصف روضه :

وأعطافُ الغُصونِ لها نشاطٌ وأنفاسُ النسيمِ بها فتورُ

٥- قال تعالى[1] : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ .

٦- قال **دعبل الخزاعي** :

لا تعجبَي يا سَلْمُ من رجلٍ ضَحكَ المشيبُ برأسهِ فبَكى

---

(١) سورة مريم ، آية ٤ .

٧- لبست الأرض حلة خضراء .

في قوله تعالى ﴿ واشتعل الرأس شيبا ﴾ تشبيه للرأس بالوقود، ثم حذف المشبه به(الوقود) وأتى بشيء من لوازمه وهو (الاشتعال) ليدل عليه، والقرينة في هذه الحالة إثبات الاشتعال للرأس. ولقد أراد سبحانه وتعالى أن يخبرنا على لسان زكريا – عليه السلام – عن الضعف الذي ألَّم به وأن الشيب قد شمل جميع رأسه، فأتى بهذا التشبيه ليعطي معنى الاشتمال ولكي تبلغ البلاغة ذروتها حذف المشبه به، وأتى بشيء من لوازمه وهو الاشتعال وهذا النوع يسمى الاستعارة المكنية وهناك علة منعت من إرادة المعنى الأصلي هي قرينة لفظية فالرأس لا يشتعل شيبا على وجه التحقيق،ولكن على سبيل الاستعارة المكنية.

أما قول **دعبل الخزاعي** فنلاحظ قوله: ضحك المشيب، فالمشيب كالإنسان يضحك، فحذف المشبه به وأبقى شيئا من لوازمه وهو الضحك على سبيل الاستعارة المكنية، فكأننا بذلك استعرنا شيئاً من لوازم المشبه به وألصقناه بالمشبه، زيادة في ادعاء أن المشبه من جنس المشبه به.

٣- الاستعارة التمثيلية

تعارف أهل البلاغة على نوع ثالث من الاستعارة هو الاستعارة التمثيلية وهذا النوع تكون في تركيب استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهه مع وجود قرينة مانعة تمنع إيراد المعنى الأصلي .فالاستعارة التمثيلية تشبيه حالة بحالة . والأمثلة التاليه ستجلو الأمر إن شاء الله .

١- عندما يعود المجاهد إلى وطنه بعد طول غياب يقال فيه : « عاد السيف إلى قرابه، وحل الليث منيع غابه » .

٢- إذا صادفنا من لم يرزق الذوق لفهم الشعر الرائع نقول فيه :

ومن يـــكُ ذا فم مـــرٍّ مريض يَـــجِدْ مُرّاً بهِ الـــــماءَ الزُّلالا

٣- وإذا أتىً أحد بقول فصل في حادثة أو حديث نقول :

قَطَعَت جُهَيْزَةُ قولَ كلِّ خَطيب .

* * * *

حينما عاد المجاهد إلى وطنه لم يعد سيف حقيقي إلى قرابه . ولم ينزل أسد حقيقي إلى عرينه . إذاً كل تركيب من هذين لم يستعمل في حقيقته، فيكون استعماله في عودة المجاهد إلى بلده مجازاً، والقرينة حالية، فما العلاقة بين الحالين يا ترى، حال رجوع المجاهد إلى وطنه، وحال رجوع السيف إلى قرابه ؟ العلاقة هي المشابهه. فإن حال المجاهد الذي نزل بوطنه

بعد غياب تشبه حال السيف الذي استل للحرب والجلاد حتى إذا ظفر بالنصر عاد إلى غمده .ومثل ذلك يقال في :« وحل الليث منيع غابه » .

أما بيت المتنبي فيدل وضعه الحقيقي على أن المريض الذي يصاب بمرارة في فمه إذا شرب الماء العذب وجده مرا . ولكنه لم يستعمله في هذا المعنى بل استعمله فيمن يعيبون شعره لعيب في ذوقهم الشعري وضعف أدراكهم الأدبي، فهذا التركيب مجاز قرينته حالية وعلاقته المشابهة، والمشبه هنا حال المولعين بذمه . والمشبه به حال المريض الذي يجد الماء الزلال مرا.

أما المثال الثالث فهو مثل عربي . أصله أن قوما اجتمعوا للتشاور والخطابة في الصلح بين حيين قتل رجل من أحدهما رجلاً من الحي الآخر. وإنهم لكذلك إذا بجارية تدعى جهيزة أقبلت فأنبأتهم أن أولياء المقتول ظفروا بالقاتل فقتلوه . فقال قائل منهم : قطعت جهيزة قول كل خطيب .

الاستعارة في القرآن الكريم

إن أول كتاب في العربية تعرض لدراسة الاستعارة في القرآن الكريم بشكل مفصل سورة سورة وآية آية هو كتاب الشريف الرضي « تلخيص البيان في مجازات القرآن » وهو شاهد صدق على قدرة العربية ورجالها على البحث المستقل في هذا الموضوع . ولقد عرض وجهة نظره من خلال طريقين :

١- إن المجاز لا يجري لله تعالى عن طريق الحقيقة .
٢- أن المناط المجازي يجري في كلام الله تعالى على شرط التبيان والتوضيح والتفسير .

فعن الطريق الأول ما جاء في قوله تعالى:[1] ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ . والمراد - والله أعلم - افنعرض عنكم بالذكر فيكون الذكر مرورا بصفحة عنكم من أجل إسرافكم وبغيكم ؟ أي لسنا نفعل ذلك بل نوالي تذكيركم لتتذكروا . ونتابع زجركم لتنزجروا . ولما كان سبحانه يستحيل أن يصف نفسه بإعراض الصفحة،

---

(١) سورة الزخرف ، آية ٥

كان الكلام محمولا على وصف الذكر عن طريق الاستعارة [1]. وهذا يعني أن ماينطبق من تفسير على كلام الناس من الوجهة البيانية لا يندرج على الله تعالى وإنما يستخدم في كلام الناس ، لنفهم بواسطته كلام رب الناس .

ومن ذلك قوله تعالى[2] : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ ولو كان الكلام محمولا على ظاهره لكان فاسدا مستحيلا على قولنا ، وقول المخالفين . لأنه لا أحد يقول من المشبهه والمجسمه الذين يثبتون له سبحانه أبعاضا مؤلفة وأعضاء مصرفة إن وجه الله سبحانه وتعالى يبقى وسائره يبطل ويفنى ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

ومنه قوله تعالى [3] ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ﴾ .

وظاهر هذا الكلام محمول على المجاز والاتساع لأن المراد به إحاطته تعالى بعلم نجوى المتناجين . ومعاريض المتخافتين . فكأنه سبحانه وتعالى بعلم جميع ذلك سامع للحوار وشاهد للسرار .

ولو حمل هذا الكلام على ظاهره لتناقض . ألا ترى أنه تعالى لو كان رابعا لثلاثة لما كان سادسا لخمسة إلا إذا فارق المكان الأول وانتقل كما تنتقل الأجسام وجاز عليه الزوال والمقام !

---

(١) تلخيص البيان. الشريف الرضي ص ٣٠٠ .
(٢) سورة الرحمن، آية ٢٧ .
(٣) سورة المجادلة ، آية ٧ .

ومن هذا قوله تعالى[1] : ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ ﴾ .

وهذه استعارة لأن الوقار ههنا وُضِع وَضْع الحلم مجازا يقال : رجل وقور بمعنى حليم . فأما حقيقة الوقار الذي هو الرزانة والثقل فلا يجوز أن يوصف بها القديم سبحانه لأنها من صفات الأجسام وإنما يجوز وصفه تعالى بالوقار على معنى الحلم .

وفي قوله تعالى [2] ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾. المقام لا يجوز أن يضاف إلا لمن يجوز عليه القيام . وذلك مستحيل على الله سبحانه إنما هو على سبيل الاستعارة .

ومن ذلك ما هو غير جائز على الأنبياء عليهم السلام كقوله تعالى [3] ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴾، فهذا القول مجاز واستعارة لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز أن ينتهي عظم ذنبه إلى حال إنقاض الظهر. وهو صوت تقعقع العظام من ثقل الحمل . لأن هذا القول لا يكون إلا كناية عن الذنوب العظيمة والأفعال القبيحة. وفي قوله تعالى [4]: ﴿ وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ وهذه استعارة والنطق لا يوصف به إلا من يتكلم بآلة .

وكثير من فنون القول التي يجري عليها القياس الصرفي أو الميزان النحوي أو أي لون من ألوان البيان لا يتحقق أحيانا في كلام الله . وهذا وجه من وجوه الإعجاز البياني إذ إن اللغة العربية هي لغة العرب. هي

---

(١) سورة نوح، آية ١٣ .
(٢) سورة إبراهيم ، آية ١٤ .
(٣) سورة الإنشراح ، الآيات من ١-٣ .
(٤) سورة المؤمنون، آية ٦٢ .

المستخدمة في كلام الله . وما يجري عليها في تراكيبها يختلف في بعض تطبيقها على كتاب الله تعالى وذلك لأن المنشيء في كلام الناس من البشر أما القرآن فهو من كلام الله .

وفي قوله تعالى[1] : ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ ﴾. استعارتان الأولى في لفظ « يستهزيء » والمراد بها أنه سبحانه وتعالى يجازيهم على استهزائهم بارصاد عقوبة لهم . فسمى الجزاء على الاستهزاء باسمه ، إذ كان واقعاً في مقابلته. والوصف بحقيقة الاستهزاء غير جائز عليه تعالى .

ولا يجوز أن نطلق على الله تعالى من الصفات التي تتقلب عند الإنسان من حال إلى حال ومن وقت إلى وقت مثل : « الحب »، وذلك لأن الحب، الذي هو ميل الطباع، لا يجوز على القديم سبحانه . ففي قوله تعالى [2] ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ استعارة . وفي قوله تعالى[3] : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ استعارة أيضا . وليس المراد بذكر اليدين هنا اليدين الاثنتين اللتين هما أكثر من الواحدة وإنما المراد به المبالغة في وصف النعمة كما يقول القائل ليس لي بهذا الأمر يدان . وليس يريد به الجارحتين . وإنما يريد المبالغة في نفي القوة عن ذلك الأمر .

ومن ذلك قوله تعالى: [4] ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ فهذه استعارة لأن حقيقة الاستواء إنما يوصف بها الأجسام التي تعلو البسيطة وتميل

---

(١) سورة البقرة ، آية ١٥
(٢) سورة المائدة ، آية ٥٤ .
(٣) سورة المائدة، آية ٦٤ .
(٤) سورة يونس ، آية ٣ .

وتعتدل . والمراد بالاستواء هنا الاستيلاء بالقدرة والسلطان لا بحلول القرار والمكان .

واستخدم **الشريف الرضي** الاستعارة بمعنى المجاز أي الكلام الذي قصد به غير المعنى الظاهر، واستخدم **الشريف الرضي** الاستعارة بالمعنى التطبيقي فربط مفهومها بالقرآن، وعادات العرب وما يجري في بيئاتهم. وبالبنية الصرفية، والقراءات القرآنية، وبغريب التفسير والتأويل، وبأقوال أهل اللغة .

ومن الممكن أن يخرج معنى الآية القرآنية إلى الاستعارة إذا تضمن معناها المبالغة المقبولة كقوله تعالى :[1] ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ وقوله تعالى [2] : ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ ﴾. ويدخل في المبالغة المقبولة تلخيص المعنى ومثاله قوله تعالى [3] ﴿ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴾ .

خصائص الاستعارة في القرآن الكريم

حاول القدماء والمحدثون بيان خصائص الاستعارة في القرآن الكريم، وأول من فعل ذلك من القدامى « **الرماني** » في كتابه « **النكت في إعجاز القرآن** » ومن المعاصرين الدكتور **أحمد أحمد بدوي** في كتابه « **من بلاغة**

---

(١) سورة يوسف ، آية ١٨.
(٢) سورة القيامة ، آية ١٤، ١٥ .
(٣) سورة الواقعة، آية ٢ .

القرآن » . ويمكن إيراد الخصائص التي تميزت بها استعارات القرآن الكريم فيما يلي :

أ- **حسن التصوير** . فليست الاستعارة مجرد كلمة استعملت في غير ما وضعت له، ولكنها مع ذلك تبرز ذلك المعنى المتحدث عنه بصورة خلابة جذابة، فهي تجسم المعنى، وترهف الحس، ويحدث في جوانبها حركة معينة .

ب- **اختيار الكلمات المناسبة** . إذ ليس كل كلمة تصلح لمثل هذه المواقف، فتختار الكلمات لتكون قوالب لهذه الاستعارات، فهي إذن ألفاظ مختارة منتقاة، لا يمكن أن يسد غيرها مكانها .

جـ- **اختيار الألفاظ اختيارا موضوعيا** . وقد نتج عن هذا الاختيار الايجاز . ذلك لأن اللفظة المختارة يستقل بها المعنى فلا يكون فضفاضا، كما أنها تكون مستقرة في مكانها ليست قلقة ولا مضطربة .

د- **وهناك عنصر آخر ألا وهو النظم** . ويتعلق هذا العنصر بالجملة التي ركبت فيها الاستعارة .

وفيما يلي دراسة تطبيقية لبعض الآيات القرآنية[1] : قال تعالى [2]: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ وردت الاستعارة

---

(١) البلاغة فنونها وأفنانها: فضل حسن عباس، ص ٢١٥ .
(٢) سورة الأنبياء ، آية ١٨ .

هنا في كلمتي القذف والدمغ واختيار هاتين الكلمتين كانت له مسوغاته وأسبابه، فالقذف هو الإلقاء بقوة، ولكنه إلقاء ما هو ضخم وكبير . والدمغ هو كسر الدماغ الذي تزول به الحياة . القذف إذاً لا بد فيه من عنصرين فهو إلقاء بشدة وعنف أولا، وأما ثانيا فهذا الملقى لا بد أن يكون ضخما وعظيما .

اختيار الكلمتين إذن فيه إيجاز واختصار، ولكن ليس هذا فحسب، ألا ترى أن في اختيار الكلمتين كذلك بعثاً للقوة في نفوس المؤمنين لكي يكونوا ذوي بأس . هذا من جهة وإرشادهم من جهة ثانية كيف يصوبون سهامهم إلى عدوهم حتى يصيبوا بها مقتلا . هذه الصورة الموحية المحسة قف أمامها مرة أخرى، وانظر إلى النظم الذي رتبت به « نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق » انظر إلى موقع الباء، وموقع على، وإلى هذه الفاءات المتعاقبة، وانظر إلى ما تفيده من الاستعلاء والسرعة، سرعة إزهاق الباطل كأنه لا يجد الفرصة التي يستطيع فيها ان يملك أنفاسه، أو يستجمع قواه .

ومن أمثلة الاستعارات في القرآن الكريم :

١- قال تعالى :[1] ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾

٢- قال تعالى :[2] ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ ﴾

---

(١) سورة الحجر ، آية ٩٤ .

(٢) سورة طه ، آية ٧١ .

٣- قال تعالى: [1] ﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

٤- قال تعالى: [2] ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾.

ومن بديع الاستعارات في القرآن الكريم أنه يأتيك بالكلمة في موضع ثم يختار غيرها في موضع آخر، مع أن المتعلق للكلمتين واحد. خذ على سبيل المثال كلمة القلوب تجد أن القرآن الكريم تارة استعمل كلمة الربط، وتارة استعمل كلمة الختم، والختم والربط كلاهما على القلوب، إلا أن الختم جاء في معرض الذم قال تعالى: [3] ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ وجاء الربط في معرض الامتنان ومثاله قوله تعالى: [4] ﴿ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ ﴾ وقوله [5] ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ ﴾

وقريب من هذا السمع كما في قوله تعالى [6]: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾ وحينما كان الحديث عن الفتية الذين آمنوا بربهم قال [7]: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ ﴾. ومثله أيضاً: الصب والافراغ حيث

---

(١) سورة التوبة، آية ٥٧.
(٢) سورة طه، آية ١٣١.
(٣) سورة البقرة، آية ٧.
(٤) سورة الأنفال، آية ١١.
(٥) سورة القصص، آية ١٠.
(٦) سورة البقرة، آية ٧.
(٧) سورة الكهف، آية ١١.

نقرأ في قوله تعالى [1]: ﴿ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا ﴾ وقوله [2] : ﴿ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ١٣ ﴾ .

والذي يوضح بديع الاستعارة أيضا لفظة « ميت » فمثلا قوله تعالى [3]: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ ﴾ تختلف عن كلمة « ميت » الواردة في قوله تعالى : [4] ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾.

بلاغة الاستعارة

أسلوب الاستعارة من أكثر أساليب العربية تأثيرا في النفس وقد ورد في الشعر الجاهلي كما ورد في كتاب الله . وتتجلى بلاغة الاستعارة في أنها تجمع بين الحقائق المتباعدة فهي إذن ركيزة من ركائز الأسلوب الأدبي ، ولا يعنينا تكلف الذين حمّلوا الاستعارة فوق طاقتها كأبي تمام . وإنما يعنينا ما ورد عفو الخاطر بعيدا عن الصنعة .

فالاستعارة ليست من المحسنات . وهي ليست للتزيين أو التحلية وإنما هي وسيلة اكتشاف لداخل الكلام وللعوالم الشعرية غير الظاهرة لذلك ورد على لسان أحد النقاد المعاصرين « الاستعارة تقرب بين

---

(١) سورة البقرة ، آية ٢٥٠ .
(٢) سورة الفجر ، آية ١٣ .
(٣) سورة الأنعام، آية ١٢٢ .
(٤) سورة الزمر ، آية ٣٠ .

حقيقتين متباعدتين وقد تجردتا من أي علاقة يمكن فهمها . فهذه الاستعارة أكثر من أن تكون مجرد استعارة عادية، وربما هيّ التي تتضمن الأداة المثلى في المعرفة[1] .

وتختلف الاستعارة عن التشبيه في أن الشيء الواحد يمكن أن يكون مشبها به من جهات كثيرة علما بأن هذا المعنى أكثر وضوحا في الاستعارة . ومن الممكن أن تكون البلاغة سببا في تغيير كثير من الأخلاق . فلطالما كانت سببا في جود البخيل، وجرأة الجبان، وشهرة الخامل، أليست تظهر الجماد بصورة الناطق ؟ أليست تكسو الأشياء الجرداء حللا قشيبة خضراء؟

والاستعارة تعطي المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة، وهي مع هذا تجسد الانفعالات والمشاعر . كما أنك تلمس في الاستعارة الجدة التي تأنس بها النفس . وتجد أن الكلمة الواحدة تصاغ في أكثر من قالب وتصور بأكثر من ريشة واحدة . ومع هذا فلكل صورة جمالها الخاص وأسباب حسنها .

فتعال معي لأبين مدى بلاغة الاستعارة الواردة في قوله تعالى[2]:
﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ ﴾.
فكلمة يموج لا تقف عند حد استعارتها لمعنى الاضطراب بل إنها تصور للخيال هذا الجمع الحاشد من الناس احتشادا لا تدرك العين

---

(١) البلاغة فنونها وأفنانها. فضل عباس. ص ٢٣١ .
(٢) سورة الكهف. آية ٩٩ .

مداه حتى صار هذا الحشد الزاخر كبحر ترى العين منه ما تراه في البحر الزاخر من حركة وتموج واضطراب ولا تأتي كلمة « يموج» إلا موحية بهذا المعنى ودالة عليه .

أما من الشعر الذي يبين بلاغة الاستعارة فتعال معي إلى الأمثلة التالية :

قال الشاعر :[1]

غَمـــرُ الرِّداءِ إذا تبسَّم ضاحكاً غَلِقَـتْ لِضِحْكَتِهِ رِقابُ المـــالِ

وقال الشاعر :[2]

يُنَازِعُني رِدائـــــي عبدُ عَمرٍو رُوَيْدَكَ يا أخـــا عَمْرِو بنِ بَكْرِ
لـــيَ الشَّطْرُ الذي مَلَكَتْ يميني ودونَـــــكَ فاعتَجِرْ منه بِشَطْرِ

لقد وردت كلمة « الرداء » في كل من البيتين وهي مستعارة في كلا الموضعين . ولكن الذي يزيدك عجبا أنها استعيرت في البيت الأول لغير ما استعيرت له في البيت الثاني ، فقد استعيرت في البيت الأول للمعروف، والمعنى الذي تصوره الشاعر والذي يجمع بين المستعار والمستعار له ، أي بين الرداء والمعروف بديع لطيف المأخذ، ذلك أن الرداء يستر صاحبه ويرد عنه سوءا ، ويقيه ضررا ، وليس المعروف في ذلك كله بأقل من الثوب . وكلمة غمر جاءت تجريدا للاستعارة لأنها تلائم المشبه وهو المعروف . لأن

---

(١) الايضاح جـ٢ . ص ١٧١، شروح التلخيص، جـ٤ ، ص ٣٥٥ .
(٢) الكشاف . جـ ٢، ص ٤٩٨ .

الغمر : الكثير فلا يقال كثير الثوب، ولكن كثير المعروف، ثم يكمل الصورة بقوله : « إذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال .» يقال: غلق الرجل: إذا ضجر وغضب . وغلق الرهن في يد المرتهن إذا لم يستطع صاحبه أن يرده إليه . ومعنى البيت: إن الممدوح إذا تبسم ضاحكا غضبت الأموال وأيقنت انها ذاهبة من عند صاحبها مملوكة لغيره .

أما المثال الثاني الذي ذكرت فيه كلمة الرداء . ولكنه ليس المعروف هنا . وإنما هو السيف . واستعارة الرداء للمعروف رأينا فيها جمال الصورة ودقة المسلك ولطف المأخذ . ولكن ما معنى استعارة الرداء للسيف ؟ فإذا عرفنا أن السيف يقي صاحبه الشر، ويرد عنه غائلة السوء وعوادي الأذى . أدركنا جمال الاستعارة ودقتها ومالها من شأن، إلا أن الاستعارة الأولى كانت مجردة لأنها ذكر فيها ما يلائم المشبه، وهي كلمة الغمر لأنها تلائم المال . أما هذه فمرشحة، لأنه ذكر فيها ما يلائم المشبه به وهو الرداء، وهي كلمة الأعتجار، لأن الاعتجار هو التلفع والتلفف بالثوب .

ولقد عبر الشاعر عن السبب الذي من أجله مد السيف إلى عبد عمرو بالمنازعة، فكأن السيف وهو بينهما يتجاذبه كل منهما فيقول له رويدك يا هذا، ليكن السيف بيننا وليأخذ كل منا بشطر منه . أما أنا فلي الشطر الذي ملكته يدي ويعني به مقبض السيف، وأما أنت فخذ الشطر الآخر واعتجر به وهذا من قبيل التهكم وقد عبر عن اختراق السيف لصدره بالاعتجار والتلفع. ولهذا يقال :إن الاستعارة أبلغ من الحقيقة، وهذا ما جعل **عبد القاهر الجرجاني** يقول في الاستعارة « إنها تبرز البيان في صورة مستجدة، تزيد قدره نبلا . وتوجب له بعد الفضل فضلا . وإنك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت فيها فوائد، حتى تراها مكررة في مواضع ، ولها في كل واحدة

من تلك المواضع شأن مفرد، وشرف منفرد . وفضيلة مرموقة وخلابة موموقة [1] » .

وقد أضاف المحدثون قضية في غاية من الأهمية حول بلاغة الاستعارة وهي : أن الإطار الذي توضع فيه الاستعارة، والقالب الذي يحيط بها لا بد أن يكون متناسبا متلائما في قوته وحسنه . فتجمل به الاستعارة وتكمل، ولا تكون كالدرة النفيسة في العلبة الرخيصة، ذلك أن الاستعارة وما يشبهها من الأساليب البلاغية يمكن أن تسمو بالمعنى الذي تحدثت عنه، وإن لم يَذكر شيئا يُذكر، كما أن المعنى الجيد قد يذهب بجودته القالب الركيك الذي صيغ فيه . لذلك قال **عبدالقاهر الجرجاني** [2] : « وليس الشأن في إيراد المعاني لأن المعاني يعرفها العجمي والعربي والقروي والبدوي وإنما الشأن في جودة اللفظ وصفائه وكثرة طلاوته ومائه، مع صحة السبك والتركيب » .

---

(١) دلائل الاعجاز. ص ١١٤ – تعليق محمد خفاجي .
(٢) أسرار البلاغة. ص ٤٦–٤٨ . تحقيق محمد عبدالعزيز النجار .

الوعي بالاستعارة

نال موضوع الاستعارة حظا وافرا من الدراسة عبر العصور الأدبية، ولعل مرد ذلك يرجع إلى الكشف عن النواحي الجمالية في الأسلوب.

والوعي بالاستعارة يكشف لنا عن قيمة استخدامها في النصوص الأدبية . فإذا كانت بلاغة التشبيه آتية من ابتكار مشبه به يقرب لنا صفات المشبه، فإن الاستعارة أقوى أثرا في النفس، فبلاغتها تتحقق في أن تركيبها يدل على تناسي التشبيه، ويجعل القارىء قادرا على تخيل صورة جديدة تنسيك روعتها ما تضمنه الكلام من تشبيه خفي . فانظر إلى قوله تعالى في وصف النار:[1] ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾ .

فإن القارىء لهذه الآية الكريمة ترتسم أمامه النار في صورة مخلوق ضخم مكفهر الوجه يغلي صدره غيظا، وهي صورة ما كان لها أن ترتسم على هذه الصورة لولا وجود الاستعارة في قوله تعالى ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ . وانظر إلى قوله تعالى:[2] ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾ وتأمل في هذا اللين الآتي من الاستعارة في قوله تعالى ﴿أفرغ ﴾ ويعد القرآن الكريم معيناً ثراً للاستعارات التي دلت على إعجاز القرآن الكريم فتحدى الإنس والجن على أن يأتوا بشيء من مثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .

ولقد استخدم العرب الاستعارة في الشعر منذ ان كان الشعر، وهم

---

(١) سورة الملك ، آية ٨ .
(٢) سورة البقرة ، آية ٢٥ .

مازالوا يعتمدون عليها في التعبير عن مشاعرهم وأحاسيسهم. فانظر إلى قول البحتري يمدح الفتح بن خاقان :

يَســمو بِكَفٍّ على العافينَ حانيةٍ تَهمي وطرْفٍ إلى العلياءِ طَمَّــاحِ

وتأمل كيف استطاعت الاستعارة أن تمثل كف الممدوح وكأنها سحابة تحمل الغيث للعافين السائلين . وانظر إلى قوله في رثاء المتوكل :

صريع تقاضاه الليالي حُشــاشةً يَجودُ بهــا والموتُ حُمْرٌ أظافِرُهْ

لقد صور البحتري عن طريق الاستعارة صورة مخيفة للموت، وكأنه حيوان مفترس ضرَّج أظافره بدماء قتلاه.

وتمعن قول الشريف الرضي في الوداع :

نَسْـرِقُ الدَّمعَ في الجُيُوبِ حَياءً وبنــا ما بنــا مــن الأشواقِ

لقد سما إلى نهاية جمال الصورة في قوله « نسرق الدمع » وكان يستطيع أن يقول « نخفي الدمع » ولكنه آثر هذه اللفظة كي يعبر عن خوفه من أن يظهر ضعفه أمام الأحبة.

وأخيرا انظر إلى قول البارودي :

إذا اســتلَّ مِنَّا سَيِّدٌ غَرْبَ سَيفِهِ تَفَزَّعَتِ الأَفــلاكُ والتَفَتَ الدَّهْرُ

لقد شَخَّصَ الأجرام السماوية ، وبعث فيها الحياة، وجعلها ترتعد خوفا، وجعل الدهر كأنه إنسان أصابه الذهول .

هذه أمثلة قليلة توضح أثر الاستعارة في رسم الصور الشعرية وقدرتها على الابتكار وروعة الخيال، وهي ما زالت مجالا فسيحا يتسابق فيه من أُوتوا حظا من البيان .

منهج القدماء في الدرس الأدبي للاستعارة

نهض العرب ببلاغتهم منذ الجاهلية، فراحوا يميزون بين صور الكلام ويبدون بعض الملاحظات البلاغية البسيطة عليها . ولم يمض طويل وقت حتى تهيأت ظروف نشطه وفرت مجموعة من العوامل التي نفخت في روح البلاغة . من بينها القرآن والحديث والخطابة والشعر والنثر وكثر العارفون بفنون الكلام في عصري بني أمية وبني العباس من العرب والعجم وممن دخل في الدين الجديد من مختلف الأمم . ونشأت الفرق الكلامية والفكرية والنحوية والتي توافرت على الدرس البلاغي . وقد أقبلت كل الشرائح آنفة الذكر على إصدار الملاحظات البلاغية واستعان هؤلاء بما سقط لهم من آثار الفرس والهنود والروم واليونان .

ومن حسن الطالع اتفاق البلاغيين في الأساس الذي انطلقوا منه لدراسة الاستعارة، وكان هذا الأساس هو اجماعهم على أن الاستعارة نقل من الأصل المعروف أو المعنى الذي دل عليه باللفظ الوضعي إلى شيء آخر لم يوضع له ذلك اللفظ .

وإن من أقدم الذين تحدثوا عن الاستعارة شيخ معتزلي هو **الجاحظ** المتوفي سنة **٢٥٥** هـ [١] . حيث قال في أبيات **النمر بن تولب** التالية :

---

(١) البيان العربي. بدوي طبانة. ص ٢٩٨ .

أعاذلُ إن يُصبِحْ صَدَايَ بِقَفْرَةٍ بعيداً نآني صاحبي وقريبي
ترى أَنَّ ما أَبقيتُ لم أَكُ رَبَّهُ وأَنَّ الذي أمضيتُ كان نَصِيبي

الصدى هنا (مستعار) أي أصبحت أنا[1] . ولقد تحدث **الجاحظ** في صحيفة **بشر بن المعتمر** عن البيان وعن كل فروع البلاغة ومن بينها الاستعارة من خلال التشبيه . وأشار أيضا إلى الاستعارة من خلال الأبيات التالية :

يا دارُ قد غيَّرها بلاها كَأَنَّما بِقلَمٍ مَحَاهَا
وطَفقَتْ سَحابةٌ تَغشَاهَا تبكي على عِراصِها عيناها

حيث جعل المطر بكاء من السحاب على طريق الاستعارة وتسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه [2]

تحليل الجاحظ للاستعارة الواردة في هذا البيت وما يماثله هي التي جعلت البلاغيين ينظمون مثل هذه الاستعارة في باب الاستعارة التصريحية [3] . وقد تحدث الجاحظ في كتابه (الحيوان) عن الصور البيانية أكثر مما تحدث في كتابه (البيان والتبيين) فاعتبر الاستعارة من باب المجاز. وقد استشهد على ذلك بالآية القرآنية[4]: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ وقد أكد الجاحظ في كتاباته أن الاستعارة ليست وقفا على العرب وإنما توجد في

---

(١) البيان والتبيين. الجاحظ جـ ١، ص ٢٨٤ .
(٢) البيان والتبيين. الجاحظ جـ ١، ص ١٥٢ .
(٣) البلاغة تطور وتاريخ. شوقي ضيف . ص ٥٤ .
(٤) سورة النساء، آية ١٠ .

الآداب الأخرى . إذ لا يخلو أدب من الصور البيانية.

وقد نشط في عصر الجاحظ مجموعة من اللغويين والنحاة الذين تعرضوا للاستعارة بالبحث والدرس منهم : **ابن قتيبة** (ت ٢٧٦ هـ)، **والمبرّد** (ت ٢٨٥ هـ)، **وثعلب** (ت ٢٩١ هـ).

وبعد الجاحظ، جاء ابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) وبحث الاستعارة واستشهد على ذلك بآية من كتاب الله [1] هي:﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ .

وكان لابن المعتز في كتابه « البديع » تصنيف يدل على ذكائه وسبقه العلمي لدى حديثه عن البلاغة بشكل عام تعرض من خلالها إلى تقسيم البديع خمسة أقسام هي الاستعارة، والتجنيس، والمطابقة، ورد الأعجاز، والمذهب الكلامي . وقد عرف الاستعارة بقوله : إنها استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء قد عرف بها . وساق مجموعة من الأمثلة في الكتاب المذكور الذي يعود تصنيفه إلى سنة ٢٧٤ هـ كان معظمها يتضمن الاستعارة المكنية .

وتحدث ابن قتيبه (ت ٢٧٦ هـ) عن الاستعارة باعتبارها صورة من صور المجاز . أما ثعلب (ت ٢٩١ هـ) فقد تحدث عنها باعتبارها من أقسام التشبيه .

كما نشط المتكلمون في تعاملهم مع علوم البلاغة، وقصدهم من وراء ذلك فهم إعجاز القرآن الكريم، وأول من أدلى بدلوه في هذا المجال :

---

(١) سورة الزخرف، آية ٤ .

الرماني (ت ٣٨٦ هـ) في مبحثه « النكت في إعجاز القرآن الكريم » حيث عرف الاستعارة بقوله : « هي استعمال العبارة في غير ما وضعت له في أصل اللغة » وقد قال أيضا : لا تحصل الاستعارة بين اللفظين إلا إذا حصل تعارف معنوي، كما أن الشخصين لا يستعير أحدهما من الآخر إلا إذا كان هناك معرفة بينهما . وقد أورد الرماني في كتابه «النكت في إعجاز القرآن» قوله : إن البلاغة على عشرة أقسام هي الإيجاز والتشبيه والاستعارة والتلاؤم والفواصل والتجانس والتصريف والتضمين والمبالغة وحسن البيان . وأورد في الباب نفسه تعريفا جديدا للاستعارة قال فيه : « إنها تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للابانة » وقد فرق بينها وبين التشبيه، حيث قال : إن الكلمات تظل في التشبيه لها معانيها الحقيقية بخلاف الكلمات في الاستعارة فأنها تدل على ما لم توضع له في اللغة .وقال أيضا : كل استعارة لا بد لها من مستعار ومستعار له ومستعار منه . ويقول أيضا : إن الاستعارة الحسنة هي التي توجب بلاغة بيان لا تنوب منابه الحقيقة، كقول امرىء القيس في فرسه « قيد الأوابد » والحقيقة فيه « مانع الأوابد » وقيد الأوابد أبلغ من مانع الأوابد وأحسن . وقد عرض أمثلة مختلفة صور فيها فضل الاستعارة على الحقيقة، وأنها أبلغ منها في قوة البيان، ونظرا لأهمية ما قاله الرماني فقد تلقفه عبد القاهر الجرجاني وانتفع به .

ومن الذين تركوا بصمات واضحة في تعاملهم مع درس الاستعارة عبد القاهر الجرجاني . الذي درس الاستعارة من خلال المجاز، وتصور أن المجاز هو الكل، وأن الاستعارة هي الجزء، كما أكد أن كل لفظ نقل عن موضوعه هو مجاز، أما الاستعارة عنده فهي أن تريد تشبيه الشيءبالشيء،

فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره، وتجيء إلى اسم المشبه به، فتعيره المشبه وتجريه عليه . فإذا أردت التشبيه تقول :رأيتَ رجلا كالأسد في شجاعته . أما إذا أردت الاستعارة، فتقول :رأيت أسدا . فالأساس الذي تقوم عليه الاستعارة من وجهة نظر عبد القاهر الجرجاني هو التشبيه، لذلك عُدَّ أصلا والاستعارة فرعا .

وقد قال عبد القاهر : إن الاسم إذا قصد إجراؤه على غير ماهو لمشابهة بينهما كان ذلك على وجهين :

١- أن يسقط ذكر المشبه حتى لا يعلم من ظاهر الحال أنك أردته من أول الأمر وبمجرد اللفظ وذلك كأن تقول : عَنَّتْ لنا ظبية . وأنت تريد امرأة . فأنت في هذا النحو من الكلام إنما تعرف أن المتكلم لم يرد ما الاسم موضوع له في أصل اللغة .

٢- أن يذكر كل واحد من المشبه والمشبه به فنقول : زيد أسد. وفي إطلاق الاستعارة على هذا الضرب بعض الشبهة . وقد تجاهل عبد القاهر الاستعارة التمثيلية وعدها من باب التمثيل .

وقد تواترت ظاهرة الخلط لدى علماء البلاغة . بين الاستعارة وغيرها من أقسام البلاغة . فهذا أبو هلال العسكري ينظر إلى :

وأسْبَلَتْ لُؤلؤاً مِن نَرْجَس وَسَقَتْ وَرداً وعَضَّتْ على العُنَّاب بِالبَرَدِ

على أنه تشبيه . في حين نظر إلى البيت التالي باعتباره استعارة :

صَفَتْ مِثْلَ ما تَصفو المُدامُ خِلالُهُ وَرَقَّتْ كما رَقَّ النَّسِيمُ شَمائلُـهْ

ومن الذين خلطوا أيضا بين الاستعارة والتشبيه **العسكري والحاتمي والخفاجي** . حيث عد هؤلاء التشبيه المضمر الأداة استعارة وقالوا : لا يكون التشبيه إلا إذا كانت فيه تلك الأداة المميزه له . ولهم حجتان في ذلك :

١- إن الاستعارة ليس لها آلة، والتشبيه له آلة، فما كان فيه آلة التشبيه ظاهرة فهو تشبيه، وما لم تكن فيه ظاهرة فهو استعارة . فقولك : زيد أسد . لا آلة فيه فوجب كونه استعارة .

٢- إن المفهوم من قولنا « زيد أسد » مثل قولنا « لقيت الأسد » .

وهذا يطابق قول أرسطو في أن التشبيه استعارة [1] أما القاضي الجرجاني أحد أئمة البلاغة في القرن الرابع الهجري وصاحب كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه . فقال : لقد توهم الناس فخلطوا بين التشبيه والاستعارة . وقد أورد قول ابي نواس :

والحُبُّ ظَـــهْرٌ أنـــتَ راكِبُهُ فـــإذا صَرَفْتَ عَنـــانَهُ انصَرَفا

كدليل خلط الناس بين الاستعارة والتشبيه . حيث جزم **الجرجاني** أن لا استعارة في هذا البيت . فلو أردنا تفسير هذا البيت لقلنا : إن الحب كظهر تديره كيف شئت إذ ملكت عنانه . فهو إما ضرب مثل أو تشبيه شيء بشيء وقد قال **الجرجاني** : إن الاستعارة ما اكتفي فيها بالاسم المستعار عن الأصل ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها . وملاكها

---

(١) البيان العربي. بدوي طبانة. ص ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١ .

تقريب الشبه ومناسبة المستعار له للمستعار منه . وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينهما منافرة ولا يتبين في أحدهما إعراض عن الآخر[1] .

أما الزمخشري فقد رأى أن الاستعارة لا تقف عند الفعل والصفة وإنما تمتد إلى الحروف[2]. ويكون بذلك قد خالف عبد القاهر الجرجاني . قال في قوله تعالى[3] : ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ .. معنى الاستعارة في قوله ﴿ على هدى ﴾ مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به، شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء أو ركبه. كما علق على قوله تعالى [4] ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ بقوله: لعل واقعة في الآية موقع المجاز لا الحقيقة، لأن الله سبحانه وتعالى خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف، وركب فيهم العقول وأراد منهم الخير والتقوى فهم في صورة المرجو منهم أن يتقوا . وكأنما شبهت إرادته بحالة الرجاء ومن ثم استعيرت لها الكلمات الموضوعة للترجي.

ومن ملاحظات الزمخشري التي أضافها في الاستعارة قوله: قد يستعار فيها النقيض للنقيض [5] وهو ما سمي بالاستعارة العنادية يقول:

أما ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ [6] ﴾ فمن العكس في الكلام الذي يقصد به الاستهزاء الزائد في غيظ المستهزأ به وتألمه واغتمامه، كما يقول

---

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه الجرجاني. ص ٤٥ .
(٢) الكشاف. الزمخشري جـ٢، ص ١٧٧ .
(٣) سورة البقرة ، آية ٥ .
(٤) سورة البقرة ، آية ٢١ .
(٥) البلاغة تطور وتاريخ. شوقي ضيف. ص ٢٦٠-٢٦١ .
(٦) سورة آل عمران، آية ٢١، سورة التوبة، آية ٣٤، سورة الانشقاق، آية ٢٤ .

رجل لعدوه « أبشر بقتل ذريتك ونهب مالك »[1].

وقد وقف الزمخشري مرارا عند الاستعارة التمثيلية ليبين أن هناك نوعا منها يكون فيه طرفا الاستعارة هيئة مركبة مثل:[2] ﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ كما قال الزمخشري أيضا : إن المثل يندمج في الاستعارة.

ثم جاء السكاكي الذي اتفق مع سابقيه على علاقة التشبيه بالاستعارة وقسمها إلى تصريحية ومكنية. وقال: إن الاولى ما صرح فيها بلفظ المشبه به. والتصريحية قسمان تحقيقية وتخييليه، ووضع لكل نوع منهما اقساما متعددة، ووضع كتابه المفتاح في علوم البلاغة الذي ضمنه بحثا موسعا للاستعارة وأنواعها.

وجاء الفخر الرازي الذي يعد أول من تحدث عن الاستعارة الأصلية. وقال إنها تجري في أسماء الأجناس مثل :أسد في قولك: كلمت أسدا ..

أما الخطيب القزويني (ت٦٦٦هـ) فقد حاول هدم ما قاله السكاكي عن الاستعارة المكنية لما أورد السكاكي من إشكالات فيها حيث قال القزويني : إن المراد بالربيع في قولهم « أنبت الربيع البقل » الفاعل الحقيقي وإن المراد بعيشة في قوله تعالى [3] ﴿ عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ صاحبها أي الذي سيعيشها . وأن يكون نحو نهاره صائم من إضافة الشيء إلى نفسه .

---

(١) الكشاف . الزمخشري، جـ ١، ص ١٩٧ .
(٢) سورة فاطر، آية ١٢ .
(٣) سورة القارعة، آية ٧ .

كما عقد الخطيب القزويني في كتابه فصلا ملأه باعتراضاته على السكاكي وما جاء في كتابه المفتاح، كما اعترض على عبد القاهر الجرجاني، وقد اتهم السكاكي بأنه أدخل الاستعارة التمثيلية في الاستعارة التحقيقية التي تجري في المفردات لا المركبات، وذكر على سبيل التحديد ما أورده السكاكي في بيت الشعر:

وإذا المَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أظفارهـــــا أَلْفيتَ كُلَّ تَميمَةٍ لا تَنْفَـــــعُ

حيث قال السكاكي : إن كلمة أظفار استعيرت لصورة وهمية للمنية تشبه الأظفار وقال : إن في هذا تعسفا لا حاجة له. كما اعترض على السكاكي في أن المشبه في الاستعارة المكنية يراد به المشبه به ادعاء إذ هو في رأيه مستعمل في معناه الحقيقي. كما اعترض على السكاكي في رده الاستعارة التبعية في الأفعال مثل « نطقت الحال بكذا » إلى المكنية مع أن قرينة المكنية عنده استعارة . وهي في المثال فعل والاستعارة في الفعل لا تكون الا تبعية.

ثم سرعان ما تعطلت الروح التي أمدت **عبد القاهر والزمخشري**، وسبب ذلك الجمود الذي ران على العقول والقلوب في الابداع الشعري فظهر نمط جديد من الدراسات البلاغية التي لاتعنى إلا بالقواعد الجافة، وكان أول من عني بهذا الاتجاه **الرازي** . ومعاصره **الوطواط** ثم **الزملكاوي وبدر الدين بن مالك والتنوخي** . **وابن قيم الجوزية، فعادت البلاغة بعلومها لا تعدو قواعد جافة شبيهة بالقواعد النحوية.**

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الخامس

المجاز المرسل

هو استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي.

وله علاقات كثيرة منها:

أولا- **تسمية الشيء باسم جزئه (الجزئية)**، كاطلاق العين على الجاسوس. وعليه قول الشاعر:

كَـمْ بَعَـثْنَا الجَيشَ جَـرَّ رَاً وأرسلنـا العيـونـا

ومنه اطلاق الرقبة على العبد، وعليه قوله تعالى[1] : ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ واطلاق القافية على الشعر وعليه قول الشاعر:

---

(١) سورة النساء ، آية ٩٢ .

وكَـــمْ عَلَّمْـــتُـــهُ نَظْمَ القَوافي فَلَمَّـا قـالَ قافيَـةً هَجَانـــي

ومنه قول القائل : ألقى الخطيب كلمة، فالمراد خطبة فذكر الجزء وأراد الكل.

ثانيا- **تسمية الجزء باسم الكل (الكلية)** كقوله تعالى[1] : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم ﴾ فالمقصود بالأصابع في الآية الأنامل التي هي رؤوس الأصابع، وكقول الشاعر:

تسيلُ عَلى حَـــدِّ الظُّبَاةُ نُفوسُنا وَلَيْسَتْ عَلى غَيرِ الظُّباةِ تَسيـــلُ

فقد ذكر الكل وهو النفس، وأراد الجزء وهو الدم . وكقوله تعالى [2] : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا ﴾ أطلقت الأيدي كاملة وأريد بعضها أي إلى الرسغ. فهو مجاز مرسل علاقته الكلية .

ثالثا- **تسمية المسبب باسم سببه (السببيه)** ومنه قوله تعالى[3] ﴿ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ ﴾ فالمراد القبول والعمل بالقرآن الكريم الذي هو نتيجة لسمع القرآن ومسبب عن وعيه. ومنه قول الرصافي :

لَقيتُها ليتَني مـــا كُنْتُ أَلقاها تَمْشي وَقَد أَثْقَلَ الإملاقُ مَمْشاها

أراد المرض فذكر سببه وهو الاملاق بمعنى الفقر. ومنه قول الشاعر:

لَـــهُ أَيـــادٍ عَلَيَّ ســـابِغَةٌ أَعُـدُّ منهـا ولا أُعَدِّدُهـــا

---

(١) سورة البقرة، آية ١٩
(٢) سورة المائدة ، آية ٣٨ .
(٣) سورة هود ، آية ٢٠ .

حيث أراد بالأيادي النعم لأن الأيادي هي التي تمنح النعم، وهي سببها.

وجعلوا منه نحو قوله تعالى [1]: ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ وقوله تعالى [2] ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ ذكرت عقوبة المكر بلفظ المكر من إطلاق اسم السبب (المكر) على المسبب (عقوبة المكر). وعليه قول عمرو بن كلثوم:

ألا لا يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلينـــــا فَنَجهَل فَــوقَ جَهْلِ الجــاهِلينا

رابعا: **تسمية السبب باسم مسببه (المُسَبَّبِيَة)** وعليه قوله تعالى[3]: ﴿ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ﴾ فالمراد المطر، فسماه باسم مسببه وهو الرزق . ومنه قوله تعالى[4]: ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ . فالقوة مجاز مرسل عن الأسلحة لترتبها عليها .

خامسا : **تسمية الشيء بما كان عليه (اعتبار ما كان)**، ومنه قوله تعالى [5] ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾ أي الذين كانوا يتامى .

ومنه قولنا : من الناس من يأكل القمح ومنهم من يأكل الذرة ومنهم من يأكل الشعير . والمراد الخبز الذي كان قمحا أو ذرة أو شعيرا، فسميناه قمحا وذرة وشعيرا باعتبار ما كان .

---

(١) سورة البقرة، آية ١٩٤ .
(٢) سورة الأنفال ، آية ٣٠ .
(٣) سورة غافر ، آية ١٣ .
(٤) سورة الأنفال ، آية ٦٠ .
(٥) سورة النساء ، آية ٢ .

سادسا : **تسمية الشيء باسم ما يؤول إليه (اعتبار ما سيكون)** وعليه قوله تعالى [1] ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗا ﴾ فالخمر لا يعصر وإنما يعصر العنب الذي يؤول إلى خمر . وعليه قوله تعالى [2] ﴿ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ﴾ وهو لا يكون كذلك عند مولده، وإنما تحدث له هذه الصفة بعد سنين، فوصف الغلام بالحلم إنما هو باعتبار ما سيكون ..

سابعا: تسمية الحال باسم محله (المحلية) : ومنه قوله تعالى:[3] ﴿ فليدع ناديه ﴾ فقد أطلق النادي وهو المحل وأراد الحال وهو أهل النادي . ومثله قوله تعالى [4] ﴿ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ﴾ أي أهلها . ومن ذلك سؤال اعرابي : هل لك بيت ؟ أي زوج من إطلاق المحل وإرادة الحال .

ثامنا : تسمية المحل باسم الحال (الحالية) : ومنه قوله تعالى[5] : ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١٠٧ ﴾ أراد الجنة، فسمى الجنة باسم الحال فيها وهو (الرحمة)

ومثله قوله تعالى [6] ﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ٢٢ ﴾ والنعيم لا يحل فيه المسلم لأنه معنى من المعاني . وإنما يحل الأبرار في مكان النعيم وهو الجنة.

---

(١) سورة يوسف، آية ٣٦ .
(٢) سورة الصافات ، آية ١٠١ .
(٣) سورة العلق ، آية ١٧ .
(٤) سورة يوسف ، آية ٨٢ .
(٥) سورة آل عمران ، آية ١٠٧ .
(٦) سورة المطففين، آية ٢٢ .

ومن ذلك قول الشاعر :

أَلِمَّا عَلى مَعْـــــنٍ وقُولا لِقَبْرِهِ سَقَتْكَ الغَوادي مَرْبَعاً بعـد مَرْبَعِ

فقد سمى المحل (قبر معن) باسم الحال فيه (معن) .

تاسعا : **تسمية الشيء باسم آلته (الآلية)**: ومنه قوله تعالى:[1] ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ أي لغتهم . وقوله :[2] ﴿ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ أي ذكرا جميلا وثناء حسنا .

عاشرا : **تسمية الشيء باسم ضده (الضدية)**،وعليه قوله تعالى[3] ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ فالبشارة حقيقة في الخبر السار وأطلق على ضده مجازا . ومنه تسمية اللديغ سليما . وتسمية البرية المهلكة مفازة ..

بلاغة المجاز المرسل: تتحقق بلاغة المجاز المرسل بتصويره المعنى المجازي خير تصوير وتأكيده وتقريره في النفوس مع ما فيه من دعوى الشيء ببينة .

---

(١) سورة إبراهيم ، آية ٤ .
(٢) سورة الشعراء ، آية ٨٤ .
(٣) سورة آل عمران ، آية ٢١ .

تدريبات

١

بين علاقة كل مجاز مرسل تحته خط مما يأتي :

١- قال تعالى على لسان نوح : ﴿ وإنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا ﴾ .

٢- لا أَرْكَبُ البَحْرَ إنِّـــي أَخافُ منــه المَعَاطِـــبْ

٢

بين كل مجاز مرسل فيما يأتي واذكر علاقته :

١- يأكل الناس القمح .

٢- رعينا الغيث .

٣- قال تعالى :﴿ فبشرناه بغلام حليم ﴾.

٤- سال الوادي .

٥- قال تعالى : (البقرة ١٨٥) ﴿فمن شهد الشهر فليصمه﴾ .

٦- سكن ابن خلدون مصر .

٧- لا تجالسوا السفهاء على الحمق . (يريد الخمر) .

٣

استعمل الكلمات الآتية بحيث تكون كل منها مجازا مرسلا للعلاقة التي أمامها .

١- الصوف - اعتبار ما كان .

٢- العين - جزئية .

٣- الكلية - المحلية .

٤- الأردن - الكلية .

٥- السحاب - سببية .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل السادس

الكناية

الكناية لغة مصدر كنى يكني ويكنو . أي تكلم بشيء وهو يريد غيره.

والكناية اصطلاحا : « لفظ أريد به لازم معناه، مع جواز إرادة معناه الأصلي » .

والفرق بين الكناية والمجاز . جواز إرادة أصل المعنى اللغوي للكلمة في الكناية . وعدم جواز ذلك في المجاز .

فإذا قالت الخنساء في أخيها صخر : طويل النجاد، رفيع العماد .. جاز أن يكون نجاده طويلا ولزم أن يكون هو طويلا وأن يكون عماده رفيعا على الحقيقة ولزم أن يكون سيدا .

وفي قوله تعالى[1]: ﴿ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾ لا يجوز إرادة المعنى

---

(١) سورة يوسف ، آية ٣٦ .

الحقيقي للخمر لأن الخمر لا يعصر وإنما يعصر العنب .. وللكناية ثلاثة عناصر : الصفة، والموصوف، والنسبة (نسبة الصفة إلى الموصوف)، وعلى هذا الاعتبار تنقسم الكناية إلى ثلاثة أقسام:

١- كناية عن صفة .
٢- كناية عن موصوف .
٣- كناية عن نسبة .

الكناية عن الصفة : المراد بالصفة المعاني الحسية والنفسية والمعنوية، كالطول والقصر، والكثرة والقلة، والشجاعة، والكرم ،والمروءة ،والعدالة.

وفي الكناية عن الصفه يذكر الموصوف وتنسب له صفة يراد لازمها، ففي قول الخنساء في أخيها صخر :

طويل النجاد رفيع العمـــــاد كثيـــر الرماد إذا ما شـــــتا

ثلاث كنايات عن صفة: فقولها «طويل النجاد» كناية عن طول القامة والموصوف ماثل في المبتدأ المحذوف .. والصفة (طول النجاد) منسوبة له، وهذه الصفة أرادت بها صفة أخرى لازمة لها وهي طول القامة، وقولها: «رفيع العماد» كناية ثانية عن صفة وهي السيادة، وقولها «كثير الرماد» كناية ثالثة عن صفة وهي الكرم ..

وفي قول المتنبي:

فمسَّاهُمْ وَبُسْطُهُمُ حَريـــــــرٌ وَصَبَّحَهُمْ وَبُسْطُهُمُ تُـــــرابُ

كنايتان عن صفة : الأولى في قوله : « وبسطهم جرير » وهي كناية عن العز والأمن والغنى. والثانية في قوله : « وبسطهم تراب » وهي كناية عن ذلهم وفقرهم . وفي قول الشاعر :

لا يَسئَالونَ أخاهُمْ حينَ يَنْدِبُهُـــمْ في النَّائِباتِ على ما قال بُرهـــانا

كناية عن صفة وهي الشجاعة والسرعة في إجابة الداعي ..

وفي قوله تعالى[1] : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾ كنايتان عن صفتين : البخل والإسراف . وفي قول **ابن الدُّمينة** :

أبيني أَفي يُمنى يَديكِ جَعَلْتِنـــــي فَأَفرح أَمْ صيَّرْتِني فـــي شِمالِكِ

كنايتان عن صفة : فقد كنى عن الإكرام بقوله «في يمنى يديك جعلتني» وكنى عن هوان المنزلة في قوله «صيرتني في شمالك». وقال الشاعر:

ولسنا على الأعقابِ تَدمى كلومنا ولكنْ على أَقدامِنا تَقْطُرُ الدِّمـــا

وفيه كناية عن صفة وهي الثبات في المعركة ومواجهة الأعداء وعدم الفرار .

الكناية عن الموصوف : في الكناية عن الموصوف تذكر الصفة والنسبة ولا تذكر الموصوف، ومن ذلك قوله تعالى كناية عن النساء[2] :﴿ أَوَمَن

---

(١) سورة الإسراء، آية ٢٩ .
(٢) سورة الزخرف، آية ١٨ .

يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ ﴾.

ومنه قول الشاعر كناية عن القلب:

قَومٌ تَرى أَرماحَهُمْ يومَ الوَغـــى مَشغُوفَةً بمواطن الكِتمـــــانِ

ومنه قول المتنبي كناية عن الرجال والنساء :

وَمَنْ في كَفِّهِ منهـــــم قَنـــاةٌ كَمَنْ فـــي كَفِّهِ مِنهـــم خِضابُ

ومنه قول شوقي كناية عن اللغة العربية :

إنَّ الذي ملأَ اللغات مَحاسِنـــاً جَعَلَ الجمالَ وسِرَّهُ فـــي الضَّادِ

ومنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم كناية عن النساء : « رويدك سوقك بالقوارير » .

ومنه قوله تعالى كناية عن السفينة [1] ﴿ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ ﴾ .

الكناية عن النسبة : في الكناية عن النسبة يذكر الموصوف والصفة، دون التصريح بالنسبة بينهما، إلا أنه تذكر نسبة أخرى تستلزم النسبة المكني عنها . ومن ذلك قول زياد الأعجم يمدح عبد الله بن الحشرج أمير نيسابور :

إنَّ السَّماحةَ والمروءةَ والنـــدى في قُبَّةٍ ضُرِبَتْ على ابنِ الحَشْرَجِ

---

(١) سورة القمر، آية ١٣ .

فأنت ترى أنه ذكر الموصوف (ابن الحشرج) ، والصفة (السماحة والمروءة والندى) ولكنه لم يصرح بنسبتها إليه، بل ذكر نسبة أخرى وهي أن الصفة في قبة مضروبة عليه، فنبه إلى أنه مالكها، فذكر الصفات ونسبتها إلى قبة ابن الحشرج يستلزم نسبة أخرى وهي نسبة تلك الصفات إلى ابن الحشرج فهي كناية عن نسبة.

ومن ذلك الشطر الثاني من قول أبي نواس:

فما جَازهُ جودٌ ولا حَلَّ دونَـــهُ ولكنْ يَصيرُ الجودُ حيـثُ يَصيرُ

فذكر الموصوف وهو الممدوح، والصفة وهي الجود، ولكن لم يصرح بنسبة الجود للممدوح، بل صرح بنسبة أخرى وهي حلول الجود حيث يحل الممدوح، وملازمته له . وهكذا ذكر الصفة ونسبها إلى مكان حلول الممدوح، بما يستلزم نسبة أخرى، وهي نسبة هذه الصفة (الجود) إلى الممدوح . ومنه قول **حسان بن ثابت** :

بنى المجدُ بيتاً فاستقرَّت عِمـادُهُ علينـــا فأَعْيا النَّاسَ أَنْ يَتَحَوَّلا

فقد كنى ببناء المجد بيتا حول الأنصار بنسبة المجد إليهم، وعدم تحوله عنهم .

ومنه قول الشاعر :

اليُـــمْنُ يَتبـــــعُ ظِلَّـــــهُ والمَجـــدُ يَمشي فـــــي رِكابِهْ

فاليمن والمجد صفتان للممدوح ولكنه نسبهما لظله وركابه بما يستلزم نسبتهما إليه ..

وكما تجيء الكناية عن النسبة في الإثبات تجيء في النفي . وعليه قول الشَّنْفَرَى الأزدي :

يَبيتُ بِمَنْجاةٍ مِنَ اللَّومِ بيتُهـــا إذا مـــا بُيوتٌ بالملامةِ حَلَّتِ

أشار الشاعر بنفي اللوم عن بيتها إلى انتفاء الفحور عنه وقد صرح الشاعر بالموصوف وهو الضمير في (بيتها) العائد على تلك المرأة العفيفة، ثم صرح بالصفة وهي اللوم المنفي في قوله بمنجاة من اللوم ولكنه لم يصرح بالنسبة (نفي اللوم عنها) بل ذكر مكانها نسبة أخرى هي نفي اللوم عن بيت يشتمل عليها وذلك يستلزم نفي اللوم عنها، فهذه كناية عن نسبة في النفي ..

ومنه قولهم : (مثلك لا يبخل) في الكناية عن نفي البخل عن المخاطب . وقولك للعربي : العرب لا تخفر الذمم . تكني عن أن مخاطبك لا يخفرها [1] .

وقسم البلاغيون المتأخرون الكناية حسب السياق الذي يفهم منها، وحسب الوسائط التي توصل إليها أقساما أربعة : التعريض، والتلويح، والرمز، والإيماء أو الإشارة .

التعريض بالكناية (الكناية العرضية) : التعريض هو اللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم، لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي . فقولك لمن تتوقع صلته ومعروفه بغير طلب : (إني لمحتاج وليس في يدي شيء) تعريض بالطلب وليس هذا اللفظ موضوعا في مقابلة الطلب لا حقيقة ولا

---

(١) د. علي البدري: علم البيان في الدراسات البلاغية ، ٢٧١ .

مجازا . إنما دل عليه من طريق المفهوم وإنما سُمِّي التعريض تعريضا لأن المعنى فيه يفهم من عرضه أي من جانبه .

والتعريض قد يكون حقيقة أو مجازا أو كناية . فمن التعريض بطريق المجاز قولك(أخذ القوس باريها) تعريضا بإنسان ضعيف طمع فيما لا يستحقه ..

ومن التعريض بالكناية ذكرك الحديث الشريف « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » فالمعنى حصر الإسلام في غير المؤذي ويلزمه نفي الإسلام عن كل مؤذ وهذا معنى كنائي، فإذا ما أريد به نفي الإسلام عن مؤذ معين كانت الكناية طريقا للتعريض وكان المعنى التعريضي هو المقصود من الكلام بمعونة السياق وقرائن الأحوال، **فالكناية العرضية هي أن تجتمع في الكلام الكناية مع التعريض** .

التلويح: إشارتك إلى غيرك من بعيد وهو عند السكاكي: **كناية كثرت وسائطها بين المعنيين الكنائي والحقيقي**.

ومن ذلك قولهم (فلان كثير الرماد) في الكناية عن الكرم، فإنه ينتقل من كثرة الرماد إلى كثرة إحراق الحطب، إلى كثرة الطبائخ، إلى كثرة الآكلين، إلى كثرة الضيفان، إلى المعنى الكنائي وهو الكرم .

الرمز : أن تشير إلى قريب منك خفية، وهو عند البلاغيين **الكناية التي انعدمت فيها الوسائط أو قلت مع خفاء**. نحو قولهم فلان (عريض القفا) أو (عريض الوسادة) كناية عن بلادته .

الإيماء أو الإشارة : أن تشير إلى قريب منك إشارة واضحة . وفي الاصطلاح عند السكاكي : **الكناية التي قلت وسائطها مع وضوح الملزوم**، كقول البحتري :

أبَيْنَ فما يَزُرْنَ سِوى كَريـــــمٍ وَحَسْبُكَ أنْ يَزُرْنَ أبا سعيـــــد

وقول الشاعر :

إذا اللهُ لـــم يَسْقِ إلاَّ الكِـــرامَ فَسَقَّـــى وُجوهَ بـــني حَنْبَـــلِ

فواضح في البيت الأول أن أبا سعيد كريم .وواضح في البيت الثاني أن بني حنبل كرام .

بلاغة الكناية : ترجع بلاغة الكناية إلى الآتي :

١- إن الكناية تعطيك الحقيقة مصحوبة بدليل كقول البحتري :

يَغُضُّونَ فَضْلَ اللَّحْظِ من حيثُ ما بـــدا
لهم عن مهيبٍ في الصدورِ مُحَبَّـــــبِ

فالبحتري كنى عن عظمة الممدوح بالإتيان بدليل هو غض الأبصار .

٢- تُجَسِّد الكناية المعاني وتجعلها في صور محسوسة كقولنا : (فلان كثير الرماد) فقد جسدنا الكرم بكثرة الرماد .

٣- يستطيع الأديب عن طريق استخدام الكناية أن يعرض بآخرين دون أن يخدش وجه الأدب وهذا يسمى التعريض .

تدريبات

١

بين الصفة التي تلزم كل كناية مما يأتي :

١- فلانة بعيدة مهوى القرط .

٢- يشار إليه بالبنان .

٣- عض المجرم على يديه .

٤- فلانة ناعمة الكفين .

٥- ركب جناحي نعامة .

٢

بين الموصوف المقصود من كل كناية :

١- سئل رجل عن سبب كثرة الشيب في رأسه فقال : وما حسن ليل ليس فيه نجوم .

٢- قال المعري في وصف السيف :

سَليل النار دقَّ وَرَقَّ حَتـــى كأنَّ أباهُ أورثَهُ السُّـــــــلالا

٣- قال أبو نواس في الخمر :

ولَمَّا شَرِبناها ودَبَّ دَبيبُهـــــا إلى مَوْطِنِ الأسرارِ قلتُ لها قِفي

٣

بين النسبة التي تلزم كل كناية مما يأتي :

١- قال أعرابي : « دخلت البصرة فإذا ثياب أحرار على أجساد عبيد » .

٢- فلان لبس المجد .

٣- **بَلغنا السماءَ مَجْدُنا وَسَناؤُنا وإنا لنرجو فوقَ ذلِكَ مَظهَرا.**

٤

وضح الناحية الجمالية في الكنايات الآتية :

١- **ألا يا نخلةً من ذاتِ عرقٍ عليكِ ورحمةُ اللهِ السلامُ**

٢- **فما جازَهُ جود ولا حلَّ دونَهُ ولكنْ يسيرُ الجودُ حيثُ يسيرُ**

٣- **فلسنا على الأعقابِ تَدمى كُلومُنا**
ولكنْ على أقدامِنا تَقْطُرُ الدِّمَا

٤- **لوَت الليالي كَفَّهُ على العَصَا .**

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل السابع

الخبر والإنشاء

الكلام إما خبر أو إنشاء . **فالخبر ما يحتمل الصدق والكذب** . وصدق الخبر مطابقة حكمه للواقع . وكذبه عدم مطابقة حكمه للواقع .

والإنشاء : كل كلام لا يحتمل الصدق والكذب لذاته، لأنه ليس لمدلول لفظه قبل النطق به واقع خارجي يطابقه أو لا يطابقه .

الخبر

الغرض من إلقاء الخبر :
الأصل في الخبر أن يلقى لأحد أمرين :

الأول : فائدة الخبر، أي إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة أو الكلام . وهذا هو الأصل في كل خبر لأن فائدته تقديم العلم أو المعرفة للآخرين .

الثاني : لازم الفائدة، وهذا الغرض لا يقدم جديدا للمخاطب وإنما يفيد أن المتكلم عالم بالحكم كالمخاطب .

أضرب الخبر

يختص هذاالتقسيم بطريقة تركيب الجملة حسب حالة المخاطب. والمخاطب يكون على ثلاثة أحوال :

أولا : أن يكون **المخاطب خالي الذهن** من الحكم أو جاهلا بمضمون الحكم، وفي هذه الحالة يلقى الخبر إليه خاليا من أدوات التوكيد كقولنا :(الطلاب نجحوا في الامتحان) وهذا النوع من الخبر يسمى **الخبر الابتدائي** . وعليه قوله تعالى[1]: ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾، وقول المتنبي :

أنا الذي نظرَ الأعْمى إلى أَدبي وأَسمَعَت كلماتي مَنْ بِهِ صمَمُ

ثانيا : أن يكون **المخاطب مترددا في قبول الحكم**، وفي هذه الحالة يلقى بالخبر إليه مؤكدا كقولنا :(أن عليًّا نجح في الإمتحان) فإذا شعرت أن هناك شكا لدى المخاطب . ألقيت إليه بالخبر مؤكدا بما يلائم درجة تردده لإضفاء مسحة من اليقين . وهذا النوع يسمى **الخبر الطلبي** ومثال ذلك أيضا قوله تعالى [2]: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ومنه قول جرير :

إنَّ العيونَ التي في طَرْفِها حَوَرٌ قَتلْننا ثمَّ لم يُحْيينَ قَتلانا

ثالثا : ان يكون **المخاطب منكرا للحكم**، فيؤتى بالخبر مؤكدا بأكثر

---

(١) سورة الأنبياء، آية ٦٣ .

(٢) سورة يونس، آية ٦٢ .

من أداة حسب إنكار المخاطب قوة وضعفا كقول القاضي ناصح الدين :

إنا لفي زمَنٍ ملآنَ مـــــن فِتَنٍ فلا يُعابُ بهِ ملآنٌ مـن فَرَقِ[1]

فقد أكد الخبر بقوله : إنا لفي .. فاستخدم : إن واللام وهذا يسمى **الخبر الإنكاري** . ومما يوضح الضربين الأخيرين قوله تعالى[2] ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ أرأيت كيف جاء قوله تعالى : ﴿إنا إليكم لمرسلون ﴾ مؤكداً بمؤكدين بعد أن قال : ﴿ إنا إليكم مرسلون ﴾ .

أما الأدوات التي يمكن استخدامها للتوكيد فهي :إن، وإن، ونون التوكيد الخفيفة والثقيلة، ولام الابتداء، والقسم، والحروف الزائدة، وقد، وأما الشرطية، ونسوق الأمثلة التالية للتوضيح :

١- والله لأدرسن . جاء التوكيد بالقسم واللام ونون التوكيد .
٢- قد جاء علي . جاء التوكيد باستخدام قد .
٣- ليس الله بظلام للعبيد . جاء التوكيد بحرف الجر الزائد .
٤- علمت أنك قادم . جاء التوكيد بأن .
٥- الطلاب مجتهدون أما محمد فأكثرهم اجتهادا . جاء التوكيد بأما .

---

(١) الفرق : بفتح الفاء والراء. الخوف .
(٢) سورة يس ، آية ١٣-١٦ .

خروج الخبر عن مقتضى الظاهر

يراد بالظاهر أصل الاستعمال اللغوي في دلالته الأولى . فالأصل أن يلقى الخبر للفائدة أو لإشعار المخاطب أن المتكلم على علم بالخبر مع علم المخاطب سلفا به وهو ما أسميناه لازم الفائدة فإذا استخدم الخبر لغير ذلك قلنا : إن الخبر خرج عن مقتضى الظاهر .

وقد يخرج الخبر عن معناه الأصلي إلى معان أخرى . وهذه المعاني تفهم من سياق الكلام وهي معان كثيرةمنها :

١- **إظهار الضعف** : كما في قوله تعالى[1] على لسان زكريا عليه السلام ﴿رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ﴾ .

٢- **الخبر للفخر**، ومنه قول أبي فراس :

ومكارمي عدَدُ النُّجومِ وَمـــنزلي مَأوى الكِرامِ ومنزِلُ الأضيـافِ

٣- **الخبر للاسترحام** : ومنه خطاب ابراهيم بن المهدي للمأمون في قوله :

أتيـــتُ جُرمـــاً شنيعـــاً وأنـــتَ للعَفـــوِ أهْـــلُ

---

(١) سورة مريم، آية ٤ .

٤- **الخبرللنصح والإرشاد** ، كقول الشاعر :

إذا أنتَ لم تشرَبْ مِراراً على القذى ظَمِئْتَ وأيُّ الناسِ تصفو مشارِبُهْ

٥- **الخبر لإظهار التحسر والحزن** : ومنه قول أعرابي يرثي ولده :

ولما دعوتُ الصبرَ بعدَكَ والأسى أجابَ الأسى طَوعاً ولم يُجِبِ الصَّبرُ

وقول المتنبي :

أقمتُ بأرضِ مصرَ فلا ورائـــي تَخِبُّ بِيَ الرِّكابُ ولا أمامـــي

٦- **الخبر للإنكار والتبكيت** :

ومنه قوله تعالى: (١) ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ وقول القائل (ماله علي حق) .

٧- **الخبر للدعاء** : تقول غفر الله لزيد . واللفظ لفظ الخبر والمعنى معنى الدعاء .

٨- **الخبر للنهي** : ومنه قوله تعالى (٢) : ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾

٩- **الخبر للهجاء** : كقول جرير :

فغُضَّ الطَّرْفَ إنَّكَ من نُمَيْـــرٍ فلا كعباً بلَغْتَ ولا كِلابـــا

---

(١) سورة الدخان ، آية ٤٩ .
(٢) سورة الواقعة، آية ٧٩ .

تدريبات على الخبر

١

بين الجمل الخبرية فيما يلي، وعين أضربها، واذكر وسائل التوكيد فيها :

١- قال تعالى[1] : ﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ .

٢- قال الشاعر :

ولقد نهزْتُ مع الغُواةِ بدَلْوِهِم ... وأَسَمْتُ سُرْحَ اللهوِ حيثُ أساموا

٣- والله إنك من الفائزين .

٤- قال الشاعر :

تجولُ خلاخيلُ النساءِ ولا أرى ... لرملَةَ خِلخالاً يجولُ ولا قلْبا

٥- قال المتنبي :

إني أُصاحبْ حلمي وهو بي كَرَمٌ ... ولا أصاحِبُ حلمي وهو بي جُبُنُ

٢

بين الغرض من الخبر فيما يأتي :

---

(١) سورة الغاشية، آية ٢٢ .

١- ولد الرسول (صلى اله عليه وسلم) عام الفيل .

٢- أنت ذهبت إلى عمان .

٣- قال الشاعر .

مضتِ الليالي البيضُ في زمنِ الصِّبا وأتى المشيبُ بكلِّ يومٍ أسـودِ

٤- قال عمرو بن كلثوم :

إذا بلغ الفِطامَ لنا صـبيٌّ تخِـرُّ لـهُ الجبابرُ ساجدينا

٥- قال أبو العتاهية :

إن الثمـانينَ، وَبُلِّغْتَهـا، قد أحوجَتْ سَمْعي إلى تُرجمانْ

٦- قال الشاعر :

أنا السيفُ إلا أن للسيفِ نـبوَةً ومثلي لا تَنبو عليـكَ مضاربُهْ

٧- قالت الخنساء :

وإن صخراً لتأتَـمُّ الهداةُ بهِ كأنهُ عَلَمٌ فـي رأسِهِ نـارُ

٨- قال أبو فراس :

سيذكرُني قومي إذا جَدَّ جَدُّهُم وفي الليلةِ الظلماءِ يُفتقدُ البـدرُ

٩- قال أبو نواس :

الرزقُ والحرمانُ مجراهُمـا بمـا قضى اللهُ ومـا قدَّرا

فاصبِر إذا الـدهرُ نبـا نَبوةً فَجُنَّـةُ الحازِمِ أن يَصـبِرا

١٠- قال أبو تمام:

ولو كانتِ الأرزاقُ تجري على الحِجا هلكْنَ إذاً من جَهلِهِنَّ البهائِـمُ

٣

انثر قول أبي فراس بأسلوب خبري وبين الغرض منه :

إنا إذا اشتدَّ الزمـــــــــا نُ ونـابَ خـطبٌ واذلَهَـــــمْ
ألفيتَ حـــول بيوتنـــــــا عُـــدَدَ الشجـاعةِ والكـرمْ
للقـــا العـــدا بيـضُ السيو فِ وللنَّـدى حُمـــرُ النِّعَـــمْ
هـــذا وهـــــذا دَأْبُنـــا يُـــودَى دمٌ ويـــــراقُ دمْ

٤

كون جملتين خبريتين يكون الغرض من الأولى الفائدة، ومن الثانية لازم الفائدة .

٥

صف معركة خاضها المسلمون بأسلوب خبري . واجعل الغرض من الخبر الفخر بالمجاهدين، وقوة إيمانهم .

الإنشاء

وهو قسمان : الإنشاء الطلبي، والإنشاء غير الطلبي

الإنشاء الطلبي

وهو ما يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، وهو خمسة أنواع : الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني، والنداء . وهذه الأنواع تتفاوت في التعبير . وتخرج عن الأغراض الحقيقية، وتؤدي معاني جديدة، ولذلك عنى بها البلاغيون .

الإنشاء غير الطلبي

وهو ما لا يستدعي مطلوبا ومن أساليبه :

أولا : **التعجب** :وله صيغتان قياسيتان: (**ما أَفعَلَهُ**) كقوله تعالى[1] : ﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾ .وعليه قول الشاعر :

بنفسيَ تلكَ الأرضُ ما أطيبَ الرُّبَى ومَا أحسنَ المُصطافَ والمُتَرَبَّعَا

و (أَفْعِل به) كقوله تعالى [2] : ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ﴾ .

ثانيا : صيغ المدح والذم: ومنها نعم، وبئس، وحبذا، ولا حبذا .. ومن أمثلتها :

---

(١) سورة عبس ، آية ١٧ .
(٢) سورة مريم، آية ٣٨

قال تعالى [1] : ﴿ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

وقال جرير :

يا حَبَّذا جبلُ الرَّيانِ مـــن جَبلٍ وحَبَّذا ساكِنُ الرَّيَّانِ مَنْ كانـــا
وحَبَّذا نفَحاتٌ مِنْ يمانِيَـــــةٍ تأتيكَ من قِبَلِ الرَّيَّان أحيانـــا

ثالثا: القسم : ويكون بالواو والتاء والباء . ومن صيغه (لعمر) ومنه قوله تعالى[2] : ﴿ وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ .

وقول المتنبي :

تاللَّهِ ما عَلِمَ امـــرُؤٌ لولاكُمُ كيفَ السَّخاءُ وكيفَ ضَربُ الهَامِ

وقول عبد الرحيم محمود :

لَعَمْرُكَ هـــذا مَماتُ الرجالِ فَمَن رامَ موتاً شريفـــاً فـــذا

رابعا: الرجاء : والحرف الموضوع له (لعل) ومنه قول ذي الرمة:

لعلَّ انحدارَ الدَّمعِ يُعْقِبُ راحةً من الوجْدِ أو يُشفي نَجِيَّ البلابِلِ

ومن الأفعال التي تستعمل في هذا الأسلوب (عسى) . وعليه قول الشاعر :

عسى الكرْبُ الذي أمْسَيتُ فيهِ يكـــونُ وراءَهُ فَـــرَجٌ قَريبُ

وقال تعالى [3] : ﴿ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ ﴾ .

---

(١) سورة النحل، آية ٣٠ .
(٢) سورة الضحى، الآيتان ١، ٢ .
(٣) سورة المائدة، آية ٥٢ .

أساليب الإنشاء الطلبي وأغراضها
الأصلية والمجازية

١- أسلوب الأمر

الأمر : طلب الفعل على وجه الاستعلاء، ويأتي على صيغ :

١- **فعل الأمر** كقوله تعالى[١] : ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾.
٢- **اسم فعل الأمر**، كقولنا : صَهْ بمعنى اسكت.وهاكَ بمعنى خذ.
٣- **المضارع المقترن بلام الأمر**، كقولنا : لِتَكتُبْ دروسك .
٤- **المصدر النائب عن فعله**، كقول الشاعر :

فصَبراً فـــي مَجالِ الموتِ صَبراً فمـــا نَيـــلُ الخُلودِ بِمُستطاعِ

وقولنا طلب الفعل على وجه الاستعلاء يعني الغرض الأصلي للأمر . إذ إن القصد أساسا من الأمر حمل المخاطب على الامتثال به وتنفيذه، ولا يكون ذلك إلا إذا كان الأمر صادرا من أعلى إلى أدنى، أي أن يكون الأمر صادرا من شخـــص له سلطـــان على المخاطب، كقـــول الأب لابنـــــه:

(١) سورة البقرة ، آية ١١٠ .

« افعل الخير » . وقول المدرس للتلميذ : « اكتب الدرس » . هذا هو الغرض الأصلي من الأمر .

وقد يخرج الأمر إلى أغراض مجازية تفهم من سياق الكلام منها :

١- **الأمر للدعاء** : إذا كان الأمر صادرا من أدنى إلى أعلى أفاد الدعاء، كقوله تعالى [1] : ﴿ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾، وقوله تعالى [2] : ﴿ ربنا افرغ علينا صبرا ﴾، وقوله تعالى[3] ﴿ رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ ﴾ .

٢- **الأمر للتمني** : ومنه قول امرىء القيس :

ألا أيها الليلُ الطويلُ ألاَ انجَلِي ... بِصبحٍ وما الإصباحُ منكَ بأمثلِ

وقول الخنساء :

أَعَينَيَّ جُودا ولا تَجْمُدا ... ألا تبكيانِ لِصَخْرِ النَّدى

ويكون الأمر الذي للتمني صادرا إلى غير العاقل .

٣- **الأمر للالتماس** : وهو الطلب من المساوي، كقولك لزميلك: اعطني الكتاب .

٤- **الأمر للاباحة** . كقوله تعالى[4] : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾

---

(١) سورة البقرة، آية ٢٨٥ .
(٢) سورة البقرة، آية ٢٥٠، وسورة الأعراف، آية ١٢٦ .
(٣) سورة نوح، آية ٢٨ .
(٤) سورة البقرة، آية ١٨٧ .

٥- **الأمر للارشاد**: ومنه قوله تعالى[١] ﴿ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾

وقول الشاعر :

واستغنِ بالوَجباتِ عـــن ذَهبٍ لـــم يَبـــقَ قَبلكَ لامرىءٍ ذَهبُ

٦- **الأمر للاعتبار**: كقوله تعالى[٢]: ﴿ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ ﴾ .

٧- **الأمر للتخيير**، وعليه قول بشار :

فعِشْ واحداً أو صِلْ أخاكَ فإنَّهُ مقارفُ ذَنـــبٍ مـــرةً ومُجانِبُهُ

٨- **الأمر للتسليم** : كقوله تعالى[٣] : ﴿ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ﴾

٩- **الأمر للتسوية** : ومنه قوله تعالى [٤]: ﴿ فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ﴾ . وقول المتنبي :

عِشْ عزيزاً أو مُتْ وأنتَ كريمٌ بينَ طـعنِ القَنا وخَفْقِ البُنـــودِ

١٠- **الأمر للتعجيز** : كقوله تعالى [٥] : ﴿ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾.

ومنه قول الشاعر :

أروني بخيلاً طالَ عُمراً ببخلِهِ وهاتوا كريماً ماتَ من كَثرةِ البذلِ

١١- **الأمر للتلهيف** : وعليه قوله تعالى [٦] : ﴿ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ﴾

١٢- **الأمر للوعيد**: كقوله تعالى[٧] : ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ ﴾

وقوله تعالى[٨]: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ ﴾ .

---

(١) سورة البقرة، آية ٢٨٢ .
(٢) سورة الأنعام، آية ٩٩ .
(٣) سورة طه، آية ٧٢ .
(٤) سورة الطور، آية ١٦ .
(٥) سورة البقرة، آية ٢٣ .
(٦) سورة آل عمران ، آية ١١٩ .
(٧) سورة المعارج، آية ٤٢ .
(٨) سورة الحجر، آية ٣ .

٢- أسلوب النهي

النهي : **طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء**، وهذا المعنى هو المعنى الأصلي للنهي، وتكون صيغة النهي بالفعل المضارع المقرون بلا الناهية. ومثال ذلك قوله تعالى [١] : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ فالنهي جاء من أعلى إلى أدنى، وفي هذه الحالة يكون الغرض من النهي الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء وهو الغرض الأصلي . ومثال ذلك أيضا قول الأب لابنه : لا تكذب. وقول المدرس لتلميذه : لا تهمل في واجباتك . ويخرج النهي إلى أغراض مجازية تفهم من سياق الكلام أهمها:

١- **الدعاء** : ويكون صادرا من الأدني إلى الأعلى . كقوله تعالى[٢] : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا ﴾.

٢- **الالتماس** : ويكون ذلك إذا كان النهي موجها من شخص إلى آخر يساويه في المكانة أو من أخ لأخيه، كقوله تعالى على لسان هارون يخاطب أخاه موسى[٣] : ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ ﴾.

---

(١) سورة البقرة، آية ١٨٨ .
(٢) سورة البقرة، آية ٢٨٦ .
(٣) سورة طه، آية ٩٤ .

٣- **التمني** : ويكون ذلك إذا كان النهي موجها إلى غير العاقل، كقول **الخنساء** :

أَعَينَيَّ جُـــودا ولا تَجْمُـــدا ألا تبكيـانِ لصَخرِ النَّـــدى

فالخطاب موجه إلى العينين . وكقول **أبي فراس** :

يا ناقُ لا تسأَمي أو تَبْلُغي مَلِكـاً تَقبيـــلُ راحتِهِ والرُّكنِ سيَّانُ

٤- **النصح والإرشاد**، كقوله تعالى [1] ﴿ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ﴾، وكقول الشاعر :

ولا تجعلِ الشورى عليكَ غَضاضةً قَريشُ الخَـــوافي قوةٌ للقوادِمِ

٥- **التوبيخ**، كقول **أبي الأسود الدؤلي** :

لا تنهَ عن خُلُقٍ وتأتـــي مثلَهُ عارٌ عليكَ إذا فعـــلتَ عظيمُ

٦- **التيئيس** : كقوله تعالى [2] : ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ﴾ . وكقول المتنبي في مدح سيف الدولة :

لا تطلبَنَّ كريماً بعدَ رُؤيتِـــهِ إنَّ الكِرامَ بأسخاهُمْ يـداً خُتِموا

٧- **التهديد** : كقولك لمن هو دونك : لا تمتثلْ أمري .

٨- **التحقير** : كقول **المتنبي** في هجاء كافور :

لا تشترِ العَبدَ إلاَّ والعَصا معَـهُ إنَّ العبيدَ لأنجاسٌ مناكيـــدُ

وكقول الحطيئة :

دع المكارمَ لا ترحَلْ لِبُغْيَتِهـــا واقعُدْ فإنَّكَ أنتَ الطاعِمُ الكاسي

---

(١) سورة البقرة، آية ٢٨٢ .
(٢) سورة التوبة، آية ٦٦ .

تدريبات

١

بين صيغة النهي والغرض منه في الأمثلة التالية :

١- قال تعالى [١] : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ ﴾ .

٢- قال تعالى [٢] : ﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا ﴾.

٣- قال الشاعر :

لا تَطلبِ المجدَ إنَّ المجدَ سُلَّمُـهُ صعبٌ وعِشْ مستريحاً ناعِمَ البـالِ

٤- يقول الصديق لصديقه : لا تضربني .

٥- قال تعالى [٣] : ﴿ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ ﴾ .

٦- قال خالد بن صفوان : « لا تطلبوا الحاجات في غير حينها. ولا تطلبوها من غير أهلها »

٧- قال الشاعر :

لا تحسبِ المجدَ تَمراً أنتَ آكلُهُ لَن تبلغَ المجدَ حتى تلْعَقَ الصَّبرا

---

(١) سورة الحجرات، آية ١١ .
(٢) سورة الأعراف ، آية ٥٦ .
(٣) سورة التوبة ، آية ٦٦ .

٢

هات أربعة أمثلة تفيد صيغة النهي فيها : النصح والإرشاد، والتمني، والالتماس، والدعاء على التوالي .

٣

حَوِّلْ الجمل الخبرية إلى جمل إنشائية من باب النهي وعين الغرض منه :

١- أنت تكثر من عتاب الصديق .

٢- أنت تنهي عن الشر وتفعله .

٣- أنت تعتمد على غيرك .

٤- أنت تطلب المجد ولا تفعل شيئا من أجله .

٣- الاستفهام

الاستفهام هو طلب الفهم وهو أصل وضعه اللغوي . وله أدوات كثيرة أهمها : الهمزة، وهل، وهما حرفان، ثم بقية أسماء الاستفهام.

والاستفهام نوعان :

الاستفهام طلب الحصول في الذهن، أي طلب العلم بالشيء، والمطلوب حصوله في الذهن إمَّا أن يكون حكماً بشيءٍ على شيء، وهو **الاستفهام التصديقي** وهو إدراك النسبة، أي تعيينها، وأداته هل والهمزة مثل:

وهل تطيقُ وداعاً أيها الرجلُ ؟

وكقوله تعالى [1]: ﴿ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ﴾ .

ويكون الجواب عنها بـ «نعم» أو «لا» .

وإما أن يكون المطلوب هو إدراك المفرد، أي تعيينه، وهو **الاستفهام التصوّري** وتستخدم فيه الهمزة مثل:

أسافر أخوك أم أبوك.

ويكون الجواب بتحديد المفرد، أي أخوك أو أبوك.

وبقية أسماء الاستفهام تستخدم للاستفهام التصوري على النحو التالي:

مَنْ للعاقل كقولنا : من جاء إلى الكلية ؟

---

(١) سورة النساء، آية ٩٧ .

وما يطلب بها شرح الشيء، مثل: ما الإيمان؟

وأين للمكان كقولنا : أين ذهب علي ؟

ومتى للزمان كقولنا: متى السفر؟

وكيف للحال، كقوله:

قال لي: كيف أنت؟ قلتُ: عليلٌ

وأيان للسؤال عن زمن المستقبل، كقوله تعالى [1]: ﴿ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾ ﴾

وأي بحسب ما تضاف إليه، كقولنا : أي صديق تحب ؟ وأي طعام أكلت ؟ وأي يوم حضرت ؟

ويخرج الاستفهام إلى أغراض مجازية تفهم من سياق الكلام وأهمها:

١- **التمني**، كقوله تعالى على لسان الكافرين [2] : ﴿ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ ﴾.

٢- **التشويق**، كقوله تعالى [3]: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ ﴾

٣- **التسوية**، كقوله تعالى[4] : ﴿ قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾

٤- **النفي**، كقول أبي تمام في المديح :

هل اجتمعَتْ أحياءُ عدنانَ كُلُّها بملتحمٍ إلاَّ وأنتَ أميرُهـــا ؟

---

(١) سورة الذاريات ، آية ١٢ .

(٢) سورة الأعراف ، آية ٥٣ .

(٣) سورة الصف ، آية ١٠ .

(٤) سورة الشعراء، آية ١٣٦ .

٥- **الإنكار**، كقول المتنبي في المديح :

أتلتمِسُ الأعداءُ بعدَ الذي رأتْ قيامَ دليلٍ أو وضوحَ بيـــانِ ؟

٦- **التقرير**، كقوله تعالى [١] : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾

٧- **التوبيخ**، كقول الشاعر :

إلامَ الخُلْفُ بينكُمُ إلامَـــا وهذِي الضجةُ الكُبرى علامـا؟

٨- **التعظيم**، كقول الشاعر :

أضاعوني وأيَّ فتىً أضاعـــوا ليوم كريهةٍ وسدادِ ثَغْـــرِ

٩- **التهويل**، كقوله تعالى [٢] : ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾، وقوله تعالى [٣] : ﴿ٱلْحَاقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَاقَّةُ ۝٢﴾

١٠- **النفي**، كقوله تعالى [٤] : ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾

١١- **النهي**، كقوله تعالى [٥] : ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾

تدريبات

١

سل عما يأتي وبين نوع الاستفهام:

١- مولد الرسول صلى الله عليه وسلم .

٢- أشهى طعام لديك .

---

(١) سورة الشرح، آية ١ .

(٢) سورة القارعة، الآيتان ١، ٢ .

(٣) سورة الحاقة، الآيتان ١، ٢ .

(٤) سورة الرحمن، آية ٦٠ .

(٥) سورة التوبة، آية ١٣ .

٣- مذاكرة دروسك .

٤- زمن سفر صديقك .

٥- حضور علي أو محمد .

٢

وضح الغرض من الاستفهام في الأمثلة التالية :

١- قال تعالى [١] : ﴿ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ ﴾.

٢- قال المتنبي :

ومالكَ تُعنَى بالأَسِنَّةِ والقَنـــا وَحَدُّكَ طَعَّانٌ بغيرِ سنانِ

٣- قال أبو العلاء المعري :

أتظنُّ أنكَ للمعالي كاسِبٌ وخَبِيٌّ أمركَ شِرَّةٌ وشَنارُ

٤- قال المتنبي في مدح بدر بن عمار :

أَمُعَفِّرَ اللَّيْثِ الهِزَبرَ بِسَوطِهِ لِمَنِ ادَّخرتَ الصارمَ المصقُولا؟

٥- أتفاحا أكلت أم موزا ؟

٦- قال الشاعر :

ألستُم خيرَ من ركبَ المطايا وأندى العالمينَ بُطونَ راحِ ؟

٧- قال تعالى [٢] : ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا ﴾.

٨- قال المتنبي :

أيدري الرَّبْعُ أيَّ دمٍ أراقا وأيَّ قلوبِ هذا الرَّكبِ شاقا

٣

كون ثلاث جمل استفهامية بحيث يدل الاستفهام في الأولى على الإنكار، وفي الثانية على التمني، وفي الثالثة على التسوية .

---

(١) سورة الأنعام، آية ٤٠ .

(٢) سورة الشعراء، آية ١٨ .

٤- النداء

«النداء التصويت بالمُنادَى ليقبل، أو هو طلب إقبال المدعو إلى الداعي» ومن أدوات النداء: يا، و أيا، و هيا، و: وا، و أي، والهمزة.

والنداء بأي والهمزة يكون لنداء القريب كقولك : أيْ بُنيَّ . وكقولك : أَبُنَيَّ . أما باقي أدوات النداء فتكون للبعيد .

وقد ينزل البعيد منزلة القريب فينادى بالهمزة وأي، إشارة إلى قربه من القلب، وحضوره في الذهن . وقد ينزل القريب منزلة البعيد فينادى بغير الهمزة وأي كقول الشاعر :

يا مَن يُرَجَّى للشدائدِ كلهـــــا يا مَنْ إليه المُشتكى والمفـــزعُ

فقد استخدم أداة النداء « يا » على خلاف الأصل مع أن المنادى قريب إشارة إلى علو مرتبته وارتفاع شأنه .

ويخرج النداء إلى أغراض مختلفة منها:

١- **التحسر**، كقول الشاعر:

أيا قبرَ معنٍ كيف واريتَ جُودَهُ وقد كانَ منهُ البرُّ والبحرُ مترعـا

وكقول ابن الرومي:

يا شبابي وأين مني شبابـــــي آذنتني حِبالُهُ بانقضـــــابِ

٢- **الاستغاثة**، كقولنا: وامعتصماه! وكقول المتنبي:

واحَرَّ قلبـاهُ مِمَّـنْ قلبُهُ شَبِـــمُ ومَنْ بجسمي وحالي عندهُ سَقَمُ

٣- **التنبيه**، كقوله تعالى[1]: ﴿ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا ﴾.

٤- **التعجب**، كقوله تعالى[2]: ﴿ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ﴾.

٥- **الإغراء**، كقولك لمن أقبل يتظلم: يا مظلوم، تكلّم، وكقول المتنبي:

يا أعدلَ الناس إلاّ في معاملتـــي فيكَ الخِصامُ وأنت الخَصْم والحَكَمُ

تدريبات

١

بين أدوات النداء في الأمثلة التالية، ووضح ما جرى منها على أصل وضعه، وما خرج منها عن أصله والغرض منه:

١- قال المتنبي:

يا صَائِدَ الجَحفلِ المَرهوبِ جانِبُهُ : إنَّ الليوثَ تصيدُ الناس أحدانـا

٢-قال تعالى على لسان فرعون[3]: ﴿ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ ﴾

٣- أي بُنَيّ، لا ترتكب إثما.

---

(١) سورة مريم، آية ٢٣.
(٢) سورة يس، آية ٣٠.
(٣) سورة الإسراء، آية ١٠١

٤- يا هذا لا تتكلم حتى يؤذن لك .

٢

ما الغرض من النداء في الأمثلة التالية :

١-قال الشاعر:

أعَدَّاءُ ما للعيشِ بَعدَكَ لِـــذَّةٌ ولا لخليلٍ بهجةٌ بِخَليـــــلِ

٢- تقول لمن يتردد في منازلة العدو : يا شجاعُ، أقدم.

٣- قال الشاعر:

يا دارَ عاتكةٍ حُييتِ مـــن دارِ سَيَّرتُ فيكِ وفيمن فيكِ أشعاري

٤- قال المتنبي في مدح كافور :

يا رجاءَ العيونِ فـــي كلِّ أرضٍ لم يكُن غيرَ أن أراكِ رجـــائي

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل التاسع
الإيجاز والإطناب والمساواة

الإيجاز

هو التعبير عن المعنى بألفاظ قليلة وافية في الدلالة عليه، وهو قسمان: إيجاز قصر، وإيجاز حذف .

إيجاز القصر

وهو ما زاد معناه على لفظه من غير حذف . وهو قليل في كلام البلغاء كثير في القرآن الكريم، ومنه قوله تعالى[1] : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ فقد جمع فيه كل مكارم الأخلاق . ومنه قوله تعالى[2] : ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ الذي فاق كل كلام وفضل غيره من كلام العرب وهو قولهم : القتل أنفى للقتل من وجوه[3] :

---

(١) سورة الأعراف، آية ١٩٩ .
(٢) سورة البقرة ، آية ١٧٩ .
(٣) الإيضاح، ص ٢٨٧ .

أحدها: أن عدة حروف ما يناظره منه وهو ﴿ في القصاص حياة﴾عشرة حروف في التلفظ وعدد حروفه أربعةعشر .

وثانيها: ما فيه من التصريح بالمطلوب الذي هو الحياة بالنص عليها، فيكون أزجر عن القتل بغير حق، لكونه أدعى إلى الاقتصاص .

وثالثها: ما يفيد تنكير « حياة» من التعظيم ،أو النوعية .

ورابعها : اطراده بخلاف قولهم، فإن القتل الذي ينفي القتل :هو ما كان على وجه القصاص لا غيره .

وخامسها: سلامته من التكرار... بخلاف قولهم .

وسادسها : استغناؤه عن تقدير محذوف ، بخلاف قولهم ، فإن تقديره : القتل أنفى للقتل من تركه .

وسابعها : أن القصاص ضد الحياة، فالجمع بينهما طباق .

وثامنها: جعل القصاص كالمنبع والمعدن للحياة ، بإدخال (في) عليه .

وغاية هذه الموازنة إيضاح فضل الإيجاز في القرآن الكريم .

ومنه قوله تعالى [1] : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ أي هدى للضالين الصائرين إلى الهدى بعد الضلال .

ومن إيجاز القصر قوله تعالى [2] : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾ . قال ابن مسعود « ما في القرآن الكريم آية أجمع للخير والشر من هذه الآية » .

ومنه قوله تعالى[3] في بعض المؤمنين : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم

---

(١) سورة البقرة ، آية ٢ .
(٢) سورة النحل ، آية ٩٠ .
(٣) سورة السجدة، آية ١٧ .

مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ عن النبي صلى الله عليه وسلم :« يقول الله تعالى : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أُذُنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر ، بله ما أطلعتهم عليه ، اقرءوا إن شئتم ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ﴾[1] .

ومنه قوله تعالى[2] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ ﴾.

وقد أوتي رسول الله صلى عليه وسلم جوامع الكلم، ومن إيجاز القصر قوله:« نصرت بالرعب » فقد عبر بكلمتين اثنتين عما يطول شرحه .

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم :« من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» .

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم :« إياكم وخضراء الدمن».

وعن أبي عمرو سفيان بن عبدالله رضي الله عنه قال :« قلت يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك . قال : قل آمنت بالله، ثم استقم » رواه مسلم . فمراد الصحابي : « قولا جامعا لمعاني الدين واضحا في نفسه لا يحتاج لما اشتمل عليه من بديع الإحاطة والشمول ونهاية الإيضاح والظهور إلى أن يسأل عنه ، ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم «قل آمنت بالله ثم استقم» أي جدِّد إيمانك متذكرا بقلبك ذاكرا بلسانك مستحضرا تفاصيل معاني الإيمان ، ثم استقم على عمل

---

(١) الزمخشري، الكشاف، ٣/٢٤٣ .
(٢) سورة الأنعام ، آية ٨٢ .

الطاعات والانتهاء عن جميع المخالفات ، إذ لا تتأتى الاستقامة مع شيء من الاعوجاج، فإنها ضده . ويُعَّد هذا الحديث -على قلة لفظه- أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام »[1] .

إيجاز الحذف

وهو ما كان بحذف مفرد أو جملة أو أكثر مع قرينة تُعيِّن المحذوف .
وقد وصف ابن الأثير حسنه وأثره في النفس فقال [2] : « أما الإيجاز بالحذف فإنه عجيب الأمر أشبه بالسحر، وذلك أنك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون مبينا إذا لم تُبيِّن ... ومن شرط المحذوف في حكم البلاغة أنه متى أظهر صار الكلام إلى شيء غث لا يناسب ما كان عليه أولا من الطلاوة والحسن » .

حذف المفرد (جزء الجملة) ، ومنه :

١- **حذف المضاف**، كما في قوله تعالى [3] : ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴾ أي أهل ناديه ، وقوله [4] : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ أي : أهلها . وقوله تعالى [5] : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ ﴾ أي : تناولها. وقوله [6] : ﴿ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ ﴾

---

(١) دليل الفاتحين ، ١/٢٨٣ -٢٨٤ .
(٢) المثل السائر ، ٢/٨١ .
(٣) سورة العلق ، آية ١٧ .
(٤) سورة يوسف ، آية ٨٢ .
(٥) سورة المائدة، آية ٣ .
(٦) سورة الممتحنة، آية ٦ .

أي : رحمة الله . وقوله [1] : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم ﴾ أي عذابه . وقد ظهر هذان المحذوفان في قوله تعالى [2] : ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ .

٢- **حذف المضاف إليه** ، وهو قليل ، ومنه قوله تعالى [3] : ﴿ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ ﴾ أي : من قبل ذلك ومن بعد ذلك .

٣- **حذف الموصوف** ، ومنه قول سحيم بن وثيل الرياحي :

أنا ابنُ جَلا وطلّاعِ الثّنايا ... متى أضعِ العمامةَ تعرفوني

أي : أنا ابن رجل جلا..

٤- **حذف الصفة** . وهو قليل ، ومنه قوله تعالى [4] : ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ ﴾ أي : كل سفينة صحيحة أو صالحة بدليل ما قبله.

٥- **حذف الفعل وجوابه**، كقوله تعالى [5] : ﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴾ . أي :احذروا .

ومنه إيقاع الفعل على شيئين وهو لأحدهما كقوله تعالى [6] : ﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ﴾. فالفعل « اجمعوا» لـ « أمركم » وحده . وإنما المراد: اجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم .

ومنه إقامة المصدر مقام الفعل كقوله تعالى [7] : ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ

---

(١) سورة النحل ، آية ٥٠,
(٢) سورة الإسراء ، آية ٥٧ .
(٣) سورة الروم ، آية ٤ .
(٤) سورة الكهف ، آية ٧٩ .
(٥) سورة الشمس ، آية ١٣ .
(٦) سورة يونس ، آية ٧١ .
(٧) سورة محمد، آية ٤ .

كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ ﴾ أي : فاضربوا الرقاب ضربا.

٦- **حذف الفاعل**، ومنه قوله تعالى[1] : ﴿ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴾ أراد النفس ولم يجر لها ذكر .

ومنه قول حاتم الطائي :

أماويَ ما يُغني الثراءُ عن الفتى إذا حَشْرَجَتْ يوماً وضاق بها الصدرُ

يريد النفس ، ولم يجر لها ذكر .

٧- **حذف المفعول به** ،ومنه قوله تعالى [2] : ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ۝٤٣ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ فبعد كل فعل مفعول به محذوف.

٨- **حذف الشرط** ،وعليه قول الشاعر :

قالوا خُراسانُ أقصى ما يُرادُ بنا ثم القُفولُ فَقَدْ جئنا خُراسانـــا

أي: إن صح قولهم أن خراسان أقصى ما يراد بنا فقد جئنا خراسان.

٩- **حذف جواب الشرط**، ويكون لمجرد الاختصار كقوله تعالى[3] ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾أي : أعرضوا . بدليل قوله بعده :﴿ إلا كانوا عنها معرضين ﴾ . وقوله [4] ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ أي: لكان هذا القرآن . وقوله[5] : ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ﴾ أي: فلا تحزن واصبر ، فإنه كذبت رسل من قبلك.

---

(١) سورة القيامة، آية ٢٦ .
(٢) سورة النجم، الآيتان ٤٣،٤٤ .
(٣) سورة يس ، آية ٤٥ .
(٤) سورة الرعد، آية ٣١ .
(٥) سورة فاطر، آية ٤ .

وقد يحذف جواب الشرط للدلالة على أنه شيء لا يحيط به الوصف، أو لتذهب نفس السامع فيه كل مذهب كقوله تعالى [1] : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ وكقوله [2] : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾.

حذف الجملة، ومنه :

١- **حذف جملة مضمونها مسبب بعد ذكر سببه** ، كقوله تعالى [3] : ﴿ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ ﴾ أي : فعل ما فعل.

وقوله تعالى [4] : ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ أي : اخترناك. فرحمة الله سبب الاختيار

ومنه قول أبي الطيب :

أتى الزمانُ بَنُوهُ في شبيبَتِهِ فساءَهُم، وأتيناهُ على الهرمِ

أي : فساءنا .

٢- حذف جملة مضمونها سبب بعد ذكر مسببه. كقوله تعالى [5] ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ ﴾ أي : فضربه بها فانفجرت .

وكقوله [6] : ﴿ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ أي : فامتثلتم ؛ فتاب عليكم .

---

(١) سورة الزمر ، آية ٧٣ .
(٢) سورة الأنعام ، آية ٢٧ .
(٣) سورة الأنفال ، آية ٨ .
(٤) سورة القصص، آية ٤٦ .
(٥) سورة البقرة، آية ٦٠ .
(٦) سورة البقرة، آية ٥٤ .

حذف جملتين فأكثر

ومنه قوله تعالى [1]: ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ أي : فضربوه ببعضها، فحيي، فقلنا :كذلك يحيي الله الموتى.

ومنه قوله تعالى [2] : ﴿ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ ﴾ أي:

فأرسلوني إلى يوسف لاستعبره الرؤيا، فأرسلوه إليه، فأتاه، وقال له : يا يوسف... ومنه قوله تعالى [3]: ﴿ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴾ أي: فأتياهم، فأبلغاهم الرسالة، فكذبوهما، فدمرناهم.

ومنه قوله [4] : ﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ ﴾ أي: ففعل ذلك، فأخذت الكتاب فقرأته، ثم كأن سائلا سأل : فماذا قالت ؟ فقيل : قالت : يا أيها الملأ.

---

(١) سورة البقرة، آية ٧٣ .
(٢) سورة يوسف، الآيتان ٤٥، ٤٦ .
(٣) سورة الفرقان، آية ٣٦ .
(٤) سورة النمل، الآيتان ٢٨، ٢٩ .

الإطناب

في مقاييس اللغة: الطاء والنون والباء أصل يدل على ثبات الشيء وتمكنه في استطالة . من ذلك الطُنُب : طُنُبُ الخيام وهي حبالها ...

يقال طَنَّبَ بالمكان: أقام ... وكذلك أطنبت الإبلُ . إذا تبع بعضها بعضا في السير .. ومن الباب قولهم : أطنب في الشيء إذا بالغ .. وفي اللسان: الإطناب : البلاغة في المنطق والوصف .. وأطنب في الكلام بالغ فيه ... وقد اهتم النقاد والبلاغيون بأسلوب الإطناب منذ عهد مبكر، وعقدوا له فصولا في كتبهم **كالجاحظ وأبي هلال العسكري**، وأدخله **السكاكي** في مباحث علم المعاني وتبعه **القزويني** وشراح تلخيصه .

تعريف الإطناب اصطلاحا : هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة .

أنواع الإطناب وأغراضه

أولا- الإيضاح بعد الإبهام: ولهذا الاسلوب أثر في النفس فهو يعرض عليها المعنى في صورتين مبهمة مجملة، وموضحة مفصلة، ثم إن المعنى إذا ألقي مبهما تشوقت النفس إلى معرفته موضحا، فإذا جاء التوضيح والتفصيل تمكن المعنى في النفس وكان الشعور به أتم واكتملت اللذة بالعلم به.

وقد يفيد الإيضاح بعد الابهام تفخيم الأمر وتعظيمه، ومن هذا الأسلوب قوله تعالى في أمر قوم لوط عليه السلام [1]: ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴾ فإذا طرق سمعك قوله ﴿ ذلك الأمر ﴾ تشوقت إلى معرفته، ويبين الله سبحانه وتعالى ذلك الأمر في بقية الآية. فهذا « الأمر » ذكر مجملا أولا ثم مفصلا.

ومنه قوله تعالى [2]: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ﴾.

ومن الإيضاح بعد الإبهام باب نعم وبئس، في قولك: نعم الرجل أبو بكر، إذ لو لم يقصد الإطناب لقيل: نعم أبو بكر. ووجه حسنه سوى الإبهام أمران آخران: إبراز الكلام في معرض الاعتدال نظراً لإطنابه من جهة وإلى اختصاره من جهة ثانية بحذف المبتدأ، وإيهام الجمع بين المتنافيين [3].

ومن الإيضاح بعد الإبهام: التوشيع وهو أن يؤتى بمثنى مفسر باسمين معطوف أحدهما على الآخر، أو بمعدود مفسر بأسماء على قدر عدده، معطوف بعضها على بعض. فمن المثنى قوله صلى الله عليه وسلم: « خصلتان لا تجتمعان في مؤمن: البخل، وسء الخلق ».

وكما جاء في الخبر: «يشيب ابن آدم وتشب معه خصلتان: الحرص، وطول الأمل» وكقول الشاعر:

---

(١) سورة الحجر، آية ٦٦ .
(٢) سورة طه، آية ١٢٠ .
(٣) الإيضاح، ص ١٩٥ .

سَقَتنيَ في ليلٍ شبيهٍ بشعرِهَـــا شبيهةَ خَدَّيها بغيرِ رقيـــــــبِ
فما زلتُ في ليلينِ: شعرٍ وظُلمةٍ وشمسينِ: من خمرٍ ووجهِ حبيبِ

ومن المعدود قوله صلى الله عليه وسلم : « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان » .

ومنه حديث: « سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله ... »

ومنه قول **محمد بن وهيب** :

ثلاثةٌ تشـــرقُ الدنيـــا ببهجَتِهـــــا :
شمـــسُ الضُّحـــى وأبـــو إسحاقَ والقمَرُ

ثانيا- ذكر الخاص بعد العام، تنبيها لما له من الفضل حتى كأنه ليس من جنس العام، تنزيلا للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات كقوله تعالى [1] : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ﴾ فذكر جبريل وميكائيل مع دخولهما في الملائكة للتنبيه على زيادة فضلهما: ومنه قوله تعالى [2]: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ فخص الصلاة الوسطى لزيادة فضلها.

ثالثا – التكرير لغرض بلاغي، مثل :

١- **التأكيد** . كقوله تعالى[3] : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ .

٢- **زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة**، ليكمل تلقي الكلام بالقبول،

(١) سورة البقرة، آية ٩٨ .
(٢) سورة البقرة، آية ٢٣٨ .
(٣) سورة التكاثر، الآيتان ٣، ٤ .

كما في قوله تعالى [1] : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ ﴾ .

٣- **قد يكرر اللفظ لطول الكلام**، كقوله تعالى[2] : ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾ ﴾

٤- **تعدد المتعلق**، كما في تكرير قوله تعالى[3] : ﴿ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ لأنه سبحانه ذكر نعمة بعد نعمة، وعقب كل نعمة بهذا القول.

٥- **التهويل والتعظيم**، كقوله تعالى[4] : ﴿ الحاقة ما الحاقة ﴾، وقوله [5] : ﴿ القارعة ما القارعة ﴾، وقوله تعالى[6] : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ ﴾

٦- **التعجب**، كقوله تعالى [7] : ﴿ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ﴾ فكرر تعجبا من تقديره وإصابته الغرض .

٧- **التلذذ بذكر المكرر**، كقول **ابن الدُّمَيْنَة** :

ألا يا صَبا نجدٍ متى هِجتِ من نَجدِ
فقَد زادَني مَسراكِ وَجْداً على وَجْدِ

رابعا- الإيغال : وهو ختم البيت بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها، كزيادة المبالغة في قول الخنساء :

---

(١) سورة غافر، الآيتان ٣٨، ٣٩ .
(٢) سورة النحل، آية ١١٠ .
(٣) سورة الرحمن ، آية ١٣-٧٧ حيث تكررت في الآيات إحدى وثلاثين مرة.
(٤) سورة الحاقة، الآيتان ١، ٢ .
(٥) سورة القارعة، الآيتان ١، ٢ .
(٦) سورة القدر، الآيتان ١، ٢ .
(٧) سورة المدثر، الآيتان ١٩، ٢٠ .

وإنَّ صخراً لتأتَمُّ الهُداةُ بـــــهِ كأنَّهُ علَمٌ في رأسِهِ نـــــارُ

لم ترض أن تشبهه بالعلم الذي هو الجبل المرتفع المعروف بالهداية، حتى جعلت في رأسه نارا .

وكتحقيق التشبيه في قول امرىء القيس :

كأنَّ عيونَ الوحشِ حولَ خِبائِنا[1] وأرحُلِنا الجَزْعُ الذي لـم يُثَقَّـبِ

فإنه لما أتى على التشبيه قبل ذكر القافية واحتاج إليها ، جاء بزيادة حسنة في قوله :« لم يثقب » لأن الجزع إذا كان غير مثقوب كان أشبه بالعيون . وقوله أيضا:

حمَلْتُ رُدَينِيّاً[2] كأنَّ سِنانَـــهُ سَنا لهبٍ لـم يتَّصِل بِدخـــانِ

خامسا- التذييل : وهو تعقيب الجملة بجملة تشتمل على معناها للتوكيد . وهو نوعان:

ضرب يخرج مخرج الحكمة والمثل، كقوله تعالى[3] : ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ .

وقول النابغة :

ولستَ بِمُستَبْقٍ أخاً لا تَلُمُّـــهُ على شَعَثٍ أيُّ الرجـــالِ المهذَّبُ

وقول الحطيئة:

---

(١) الخباء: الخيمة. الجزع: الخرز فيه بياض وسواد. وأراد بالوحش البقر .
(٢) الرديني: الرمح. سنان الرمح: نصله. سنا النار: لهيبها.
(٣) سورة الإسراء، آية ٨١ .

تزورُ فتىً يعطي على الحمْدِ مالَهُ ومنْ يُعطِ أثمانَ المكارِمِ يُحْمَـدِ

فقد سار التذييل فيها سير الحكمة والمثلِ وهو في الآية﴿ إن الباطل كان زهوقا ﴾ وفي بيت النابغة :« أي الرجال المهذب » وفي بيت الحطيئة « ومن يعط أثمان المكارم يحمد » .

والضرب الثاني من التذييل لا يخرج مخرج المثل لعدم استقلاله بإفادة المراد، وتوقفه على ما قبله . كقول **ابن نباتة السعدي** :

لم يُبقِ جـودُكَ لي شيئاً أُؤَمِّـلُهُ تركتَني أصحَبُ الدُّنيا بلا أملِ

فالتذييل هنا لا يستقل بنفسه، بل إن فصله عما قبله يفسده . وقد اجتمع الضربان في قوله تعالى [1]: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ فقوله :﴿ أفئن مت فهم الخالدون﴾ تذييل على ما قبله لا يستقل بنفسه . وقوله :﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ تذييل على ما قبله خرج مخرج المثل .

وجملة التذييل قد تكون تأكيدا لمنطوق ما قبلها، فتشترك الجملتان في اللفظ، كقوله تعالى :﴿ قل جاء الحق ..﴾ الآية . وقد تكون لتأكيد مفهوم ما قبلها كبيت النابغة « ولست بمستبق..»، فإن صدره دل بمفهومه على نفي الكامل من الرجال، وجاء آخره « أي الرجال المهذب » فحقق ذلك وقرره.

سادسا- التكميل أو الاحتراس : وهو أن يؤتى في كلام يُوهمُ خلاف المقصود بما يدفعه . وهو قد يتوسط الكلام كقول **طرفه** :

---

(١) سورة الأنبياء، الآيتان ٣٤،٣٥ .

فسقَى ديارِكِ – غـيرَ مفسـِدِها – صوبُ الربيعِ[1] وديمَةٌ تَهمـي

فقوله «غير مفسدها » احتراس . وكقول كثير :

لو أن عزّةَ خاصَمت شمسَ الضُّحى في الحسنِ عندَ مُوفَّقٍ لقضَى لها

إذ التقدير عند حاكم موفق . فقوله :« موفق » تكميل .

وكقول ابن المعتز :

صَبَبنا عليها – ظالمينَ – سِياطَنا فطارَتْ بِها أيـدٍ سِراعٌ وأرجُلُ

فقوله « ظالمين » احتراس يدفع عن فرسه تهمة البلادة والبطء .

وقد يقع في آخر الكلام كقول الشاعر :

حليمٌ إذا ما الحِلمُ زيَّنَ أهلَهُ ...

فإنه لو اقتصر على وصفه بالحلم لأوهم أن حلمه عن عجز، فلم يكن صفة مدح، فقال : إذا ما الحلم زين أهله، فأزال هذا الوهم .

ومنه قول الحارثي :

وما ماتَ منا سيِّدٌ في فراشِـهِ ولا طُلَّ[2] منّا حيثُ كـانَ قتـيلُ

فإنه لو اقتصر على وصف قومه بشمول القتل إياهم، لأوهم أن ذلك لضعفهم وقلّتهم، فأزال هذا الوهم بوصفهم بالانتصار من قاتلهم .

---

(١) الربيع : المطر على سبيل المجاز المرسل فقد ذكر المسبب وأراد السبب وصوب المطر نزوله، والديمة: المطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق. تهمي: تسيل.

(٢) طل: أهدر دمه. يريد: أنهم شجعان وأهل حروب يموتون في الحروب وهم لعزتهم لا يفوتهم ثأر قتيل من قتلاهم.

ومنه قول أبي الطيب :

أشـــدُّ من الرياحِ الهُـوجِ بطشـاً وأســرَعُ في النـَّدى منها هُبـــوبا

فإنه لو اقتصر على وصفه بشدة البطش ؛ لأوهم ذلك أنه عنف كله، ولا لطف عنده، فأزال هذا الوهم بوصفه بالسماحة .

سابعا- التتميم: « وهو أن يؤتى في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضله تفيد نكتة » كالمبالغة في قوله تعالى [1] : ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ أي : مع حبه والضمير للطعام، أي مع اشتهائه والحاجة إليه . ونحوه [2] : ﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾ .وقوله تعالى[3] : ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ . وقول زهير في مدح هرم بن سنان :

من يَلقَ يوماً - على عِلاّتِه[4] هَرِماً يـلقَ السَّماحةَ منهُ والنَّدى خُلِقا

فقوله :« على علاته » تتميم جيد، وأنت ترى أنه فضلة أولا، والمعنى يتم بدونه ثانيا، ولا يوهم تركه خلاف المقصود ثالثا ، وهذا هو التتميم، ونكتته ظاهرة فهو يقول : إن السماحة والندى طبيعة فيه، هذا إذا وجدته مشغولا، فكيف إذا وجدته متأهبا للقائك، مستعدا له .

ثامنا - الاعتراض: « وهو أن يُؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى، بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لنكتة سوى ما ذكر في تعريف التكميل (الاحتراس) » ومن أغراضه :

---

(١) سورة الإنسان، آية ٨ .
(٢) سورة البقرة، آية ١٧٧ .
(٣) سورة آل عمران، آية ٩٢ .
(٤) العلات: جمع علة، وهي هنا الحدث الذي يشغل صاحبه.

١- **التنزيه** : في قوله تعالى [١] : ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾ . فقوله : ﴿ سبحانه ﴾ اعتراض غرضه تنزيه الله تعالى عما يزعمون ..

٢- **التعظيم** ، كقوله تعالى [٢] : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾

٣- **الدعاء**، كقول **أبي الطيب** :

وتحتقِرُ الدنيا احتقارَ مجرِّبٍ يرَى كلَّ ما فيها -وحاشاكَ- فانِيا

فإن قوله : « وحاشاك » دعاء حسن في موضعه.

ونحوه قول **عوف الشيباني** :

إن الثمانينَ - وبلَّغْتَها - قد أحْوجَتْ سمعي إلى تُرجُمانْ

٤- **التنبيه**، كما في قول الشاعر :

واعلَمْ - فَعِلْمُ المرءِ ينفَعُهُ - أن سوفَ يأتي كُلُّ ما قُدِرا

٥- **تخصيص أحد المذكورين بزيادة التأكيد في أمر عُلِّقَ بهما**، كما في قوله تعالى [٣] : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ﴾ . فجملة «حملته ...» معترضة تأكيدا للتوصية بالوالدة، وتذكيرا لحقها العظيم .

---

(١) سورة النحل، آية ٥٧ .
(٢) سورة الواقعة، الآيتان ٧٥، ٧٦ .
(٣) سورة لقمان، آية ١٤ .

٦- **التنبيه على سبب أمر فيه غرابة**، كما في قول الشاعر :

فلا هَجرُهُ يبدو- وفي اليأسِ راحةٌ - ولا وَصلُـهُ يبدو لنـا فَنُكارِمُه

فإن قوله :« فلا هجره يبدو » يشعر بأن هجر الحبيب أحد مطلوبيه، وغريب أن يكون هجر الحبيب مطلوبا للمحب، فقال : « وفي اليأس راحة » لينبه على سببه .

٧- **الاستعطاف مع المطابقة**، كما في قول **أبي الطيب** :

وخفوقُ قلبٍ لو رأيتِ لهيبَـهُ - يا جنَّتـي - لظننْتِ فيـهِ جَهنَّما

فقوله :« يا جنتي » اعتراض للمطابقة مع جهنم من جهة، وللاستعطاف من جهة ثانية .

ووجه حسن الاعتراض : حسن الافادة مع أن مجيئه مجيء ما لا يعول عليه في الافادة . فيكون مثله مثل الحسنة تأتيك من حيث لا ترتقبها.

تاسعا - الإطناب بغير الأنواع السابقة :

لا تنحصر أنواع الاطناب وأغراضه فيما تقدم، فقد تأتي لغير ذلك، كقوله تعالى [1] : ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ فالإطناب في قوله :« بألسنتكم » و « بأفواهكم » . أي : هذا الإفك ليس إلا قولا يجري على ألسنتكم، ويدور في أفواهكم، من غير ترجمة عن علم في القلب، كما هو شأن المعلوم إذا ترجم عنه اللسان .

---

(١) سورة النور، آية ١٥ .

وكقوله تعالى [1] : ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ﴾ فأنه لو اختصر لترك قوله : ﴿ والله يعلم إنك لرسوله ﴾ لأن مساق الآية لتكذيبهم في دعوى الإخلاص في الشهادة . وحسنه دفع توهم أن التكذيب للمشهود به في نفس الأمر وهو أن محمداً (ص) رسول الله .

---

(١) سورة المنافقون، آية ١ .

المساواة

وهي أن يكون اللفظ على قدر المعنى لا يزيد ولا ينقص . قال الخطيب القزويني : «المراد بالمساواة أن يكون اللفظ بمقدار أصل المراد لا ناقصا عنه بحذف أو غيره، ولا زائدا عليه بنحو تكرير، أو تتميم، أو اعتراض »[1]. وعليه المساواة في الكلام أن لا يكون فيه إيجاز ولا إطناب. فلا تعرف المساواة ولا تتميز، إلا بعد معرفة أساليب الإيجاز والإطناب . وقد كان العرب في جاهليتهم وإسلامهم يميلون إلى الإيجاز، ولم يخل كلامهم من الإطناب لما له من فائدة . كما لم يخل من المساواة مراعاة لمقتضى الحال، ومع ازدهار الحضارة الإسلامية واتخاذ اللغة العربية لغة للحضارة والعلم، زادت أهمية المساواة لما تتطلبه الدراسات العلمية من دقة التعبير ومطابقة اللفظ للمعنى .

ومن أمثلة المساواة :

١- قال تعالى[2] : ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ فأنت ترى أن اللفظ على قدر المعنى، فلا إيجاز ولا فضول، وفي أمثال العرب : من حفر لأخيه جُبّاً وقع فيه مُنكَبّاً .

٢- وقال تعالى[3] : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ فليس في قوله تعالى حذف أو زيادة . بل إن اللفظ

---

(١) الإيضاح: ص ٢٨١ .
(٢) سورة فاطر، آية ٤٣ .
(٣) سورة الزلزلة، الآيتان ٧،٨ .

جاء على قدر المعنى، فالله يجازي المحسن على إحسانه مهما صغر هذا الإحسان، ويعاقب المسيء على إساءته مهما صغرت هذه الإساءة .

٣- وقال تعالى [١] : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ .

٤- وقال تعالى[٢] : ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾

٥- وقال طرفة :

ستُبدي لكَ الأيامُ ما كنتَ جاهلاً ويأتيـــكَ بالأخبـارِ مَنْ لم تُزَوِّدِ

وأخيرا أود أن أنبه إلى اضطراب البلاغيين في إيجاز القصر والمساواة، فيجعلون أحدهما من الآخر، ويستشهدون بالشاهد على إيجاز القصر حينا وعلى المساواة حينا آخر ولعل الأجدى أن يقسم الكلام إلى ثلاثة أقسام كما قسموه : الإيجاز والإطناب والمساواة، وأن يُحصر الإيجاز فيما فيه حذف، وأن يحصر الإطناب فيما فيه زيادة لفائدة، وأن تحصر المساواة فيما خلا من الحذف والزيادة، وبذلك تكون الحدود واضحة بين هذه الأساليب، ولا يكون هناك مجال للاضطراب .

---

(١) سورة الأنعام، آية ٦٨ .
(٢) سورة الرحمن، آية ٦٠ .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل التاسع

علم البديع

البديع لغة : بدع الشيء وابتدعه: أنشأه وبدأه وابتدعت الشيء : اخترعته لا على مثال . والبديع : المحدث العجيب، وعليه، معاني كلمة البديع في اللغة تدور على مفاهيم الاختراع والحداثة والجدة.

البديع اصطلاحا : مر مصطلح البديع بمفهومين :

المفهوم الأول : ويمتد من أوائل القرن الثالث إلى أوائل القرن السابع حيث كان يدل « **على فنون البلاغة المختلفة** » [1] .

فيفهم من كلام **الجاحظ** [2] أن الرواة أطلقوا مصطلح البديع على المستطرف الجديد من الفنون الشعرية وعلى بعض الصور البيانية التي يأتي بها الشعراء في أشعارهم فتزيدها حسنا وجمالا، وعلى فنون بلاغية مختلفة .

ويذكر أبو الفرج أن **مسلم بن الوليد**(ت ٢٠٨ هـ) أول من أطلق

---

(١) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، البديع، ٣٨٢/١ .
(٢) البيان والتبيين، ٥٥/٤ .

هذا المصطلح. وتبعه فيه جماعه أشهرهم **أبو تمام الطائي**.

وكتاب **البديع لابن المعتز** (ت ٢٩٦) يمثل مفهوم هذا المصطلح في مرحلته الأولى، حيث عرض فيه لبعض صور الاطناب وهو من علم المعاني، كما عرض فيه للاستعارة والتشبيه والكناية من علم البيان، إضافة لما عرضه مما أدخله المتأخرون في علم البديع .

وهو عند **أبي هلال** في (**كتاب الصناعتين**) مختلف الصور البيانية كالاستعارة والمجاز والطباق والجناس .

وأدخل **ابن رشيق** في البديع المجاز والاستعارة والتمثيل والمثل السائر والتشبيه والإشارة ..

والبديع عند **عبد القاهر** فنون البلاغة المختلفة، يدل على ذلك قوله : « وأما التطبيق والاستعارة وسائر أقسام البديع [1] » .

ولأسامة بن منقذ (ت ٥٨٤) كتاب أسماه « **البديع في نقد الشعر** » لم يعرِّف فيه البديع، وجمع فيه خمسة وتسعين فنا بلاغيا . وسار **ابن أبي الإصبع المصري** (ت ٦٥٤) على خطاه في كتابه « **بديع القرآن** » .

المفهوم الثاني للبديع : ويبدأ هذا المفهوم عند **السكاكي** (ت ٦٢٦ هـ) الذي أخرج المحسنات المعنوية واللفظية من البلاغة، وسماها محسنات ووجوهاً يصار إليها بقصد تحسين الكلام ولم يسمها بديعا، وقد ذكر منها ستة وعشرين محسنا ..

---

(١) أسرار البلاغة، ص ٢٠ .

وأول من أطلق مصطلح « البديع » على هذه المحسنات والوجوه **بدر الدين بن مالك** (ت ٦٨٦ هـ) في كتابه « **المصباح في علم المعاني والبيان والبديع** » الذي لخص فيه الجزء الثالث من كتاب « **مفتاح العلوم** » **للسكاكي** . وذكر ابن مالك في كتابه هذا ثمانية وخمسين نوعا من فنون البديع .

وفي **تلخيص المفتاح**، **والإيضاح** سار **الخطيب القزويني** (ت ٧٣٩ هـ) على خطا السكاكي فعد البلاغة علمين هما علم المعاني وعلم البيان وقسم فنون البديع إلى محسنات معنوية ومحسنات لفظية، وعرّف **البديع** بقوله : « **علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة** » وهوتعريف حدد مفهوم البديع ، واستقر عليه البلاغيون .

المحسنات المعنوية واللفظية

المحسنات المعنوية : « **وهي التي يكون التحسين بها راجعا إلى المعنى أولا وبالذات** »[1] كالطباق بين « نبه» و«نم» في قول بشار :

إذا أَيقَظَتْكَ حُروبُ العِدَى فنَبِّه لها عُمَرا ثمَّ نَم

وعلامتها أن تغيير اللفظ بما يرادفه لا يفسد حسنها. ألا ترى أنك لو أنشدت **بيت بشار**:

إذا أَيقَظَتكَ حُروبُ العِدَى (فايقظ) لها عُمَرا ثم نمْ

---

(١) أحمد المراغي، علوم البلاغة، دار القلم، ص ٢٩٦ .

لم يفسد الطباق .

ومن المحسنات المعنوية : الطباق، والتورية، وحسن التعليل،وتأكيد المدح بما يشبه الذم ...

المحسنات اللفظية : وهي التي يكون التحسين بها راجعا إلى اللفظ أصالة وإن حسنت المعنى تبعا . إذ ينتفي حسن اللفظ، ويصبح مرذولا إذا لم يتطلبه المعنى، وإذا لم يكن ذا أثر في النفس . وعلامة المحسنات اللفظية أن تغيير اللفظ بما يرادفه يفسد حسنه ، كالجناس في قوله :

ناظراهُ فيما جَنَى ناظراهُ أو دَعاني أَمُتْ بما أَوْدَعاني

ألا ترى أنك لو غيرت اللفظ فأنشدته :

حاوراه فيما جنى ناظراه أودعوني أمت بما أودعاني

لضاع الجناس وحسنه .

ومن المحسنات اللفظية : الجناس، والسجع ، ورد العجز على الصدر، والاقتباس .

أولا - المحسنات المعنوية

١- الطباق

وهو الجمع بين المتضادين . ويكون ذلك على أنواع :

١- الجمع بين لفظين من نوع واحد :

اسمين، كقوله تعالى[١] : ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾. أو فعلين، كقوله تعالى [٢] : ﴿ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ﴾ .

وقول النبي (ص) : « إنكم لتكثرون عند الفزع ،وتقلون عند الطمع »

وقول أبي صخر الهذلي :

أما والَّذي أبكَى وأضحَكَ والذي أَماتَ وأَحيا والذي أَمرُهُ الأَمْـرُ

أو حرفين . كقوله تعالى[٣] : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾.

وقول مجنون ليلى :

على أنني راضٍ بأن أحمِلَ الهَوَى وأَخْلُـصَ مِنهُ لا عليَّ ولا لِيَا

٢- الجمع بين لفظين من نوعين : كالجمع بين الاسم والفعل في

---

(١) سورة الكهف، آية ١٨ .
(٢) سورة آل عمران، آية ٢٦ .
(٣) سورة البقرة ، آية ٢٨٦ .

قوله تعالى [1]: ﴿ أومن كان ميتا فأحييناه ﴾. أي ضالا فهديناه.

٣- طباق السلب : ومن الطباق ضرب يطلق عليه طباق السلب وهو الجمع بين فعلي مصدر واحد مثبت ومنفي أو أمر ونهي .

أمثلة : قال تعالى [2]: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ . وقال تعالى [3] : ﴿ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ﴾ .

وقال **عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي** :

ونُنكِرُ إنْ شِئنا على الناسِ قولَهُم ولا يُنكرونَ القولَ حينَ نقولُ

وقال **البحتري** :

يقَيِّضُ لي من حيثُ لا أعلم النَّوَى ويَسري إليَّ الشَّوقُ منْ حيثُ أعْلَمُ

وقول الشاعر :

خلقوا وما خُلقُوا لِمكْرُمةٍ فكأنَّهُم خُلقوا وما خُلقوا
رزقُوا وما رُزقوا سَماحَ يدٍ فكأنَّهُم رُزقوا وما رُزقوا

٤- **التدبيج** : ومن الطباق ضرب يسمى تدبيجاً وهو خاص بالألوان تذكر على سبيل الكناية أو التورية، ويمكن تعريفه كما يلي :

التدبيج : **هو ذكر لونين فأكثر بقصد الكناية أو التورية** .

---

(١) سورة الأنعام ، آية ١٢٢ .
(٢) سورة الروم ، الآيتان ٦، ٧ .
(٣) سورة المائدة ، آية ٤٤ .

فمن تدبيج الكناية قول **أبي تمام** :

تردَّى ثِيابَ الموتِ حُمراً فما أتى لها اللَّيل إلا وهيَ من سُندُسٍ خُضْرِ

وقول **ابن حيوس** :

طالما قلتُ للمسائل عنكمْ واعتمادي هداية الضُّلالِ
إن تُرِد عِلمَ حالِهم عن يقينٍ فالقَهُم يومَ نائلٍ أو نزالِ
تلقَ بيضَ الوُجوهِ سود مُثار النَّقْع خُضْرَ الأكنافِ حُمرَ النِّصالِ

ومن تدبيج التورية لفظ الأصفر في قول **الحريري**: « أزورَّ المحبوب الأصفر، واغبرَّ العيش الأخضر .. » حيث ورى بالأصفر عن الذهب.

٥- ما يلحق بالطباق : ويلحق بالطباق أشياء :

أحدها : الجمع بين معنيين لا يتنافيان في ذاتهما ولكن يتعلق أحدهما بما يقابل الآخر بسببه أو لزومه أو نحوهما كقوله تعالى[1] : ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ فالرحمة مسببة عن اللين الذي هو ضد الشدة .

وقوله تعالى[2]: ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ فابتغاء الفضل يستلزم الحركة المضادة للسكون والعدول عن لفظ الحركة إلى لفظ ابتغاء الفضل لأن الحركة ضربان : حركة لمصلحة وحركة لمفسدة والمراد الأولى لا الثانية .

وثانيها : وهو ما يسمى إيهام التضاد وهو ما يكون التقابل فيه بين

---

(١) سورة الفتح، آية ٢٩ .
(٢) سورة القصص، آية ٧٣ .

الظاهر من مفهوم اللفظين . وإن لم يكن بين حقيقة المراد منهما تقابل . كقول **دعبل**:

لا تَعجَبي يا سَلْمُ من رجلٍ ضَحِكَ المشيبُ برأسِهِ فبَكى

وقول **أبي تمام** :

ما إن ترَى الأَحسابَ بيضاً وُضَّحاً إلَّا بحيثُ تَرى المَنايا سُودا

(بيضا وضحا : استعارتان لنقاء الأحساب من الدنس) .

وقوله في الشيب :

له منظَرٌ في العينِ أبيضُ ناصعٌ ولكنَّهُ في القلبِ أسودُ أسفعُ

(استعار الأسود الأسفع لما يحدثه منظر الشيب في نفسه من الهم والحزن) . وقوله:

وتنظَّري خَبَبَ الرِّكابِ يَنُصُّها مُحيي القريضِ إلى مُميتِ المالِ

والفرق بين إيهام التضاد وبين التدبيج إذا اشتركا في الألوان أن الأول يأتي عن طريق المجاز والثاني عن طريق التورية والكناية .

وثالثها: يقوم على الجمع بين الشيء ونقيضه في النفس لا في اللغة . كما في قول هارون هاشم رشيد :

بالرصاصِ الرصاصِ لا بالقصيدِ وبزحفِ الجُنود لا بالوعُودِ
بالسَّرايا وبالكتائبِ بالجيشِ تُرَدُّ الديارُ لا بالوفودِ
بَهديرٍ من المدافعِ أعلى من هديرِ الكلامِ والتَّهديدِ

فقد ابتعد الشاعر عن الجمع بين الشيء وضده في اللغة، جامعا بين الشيء ونقيضه في نفسه، كالجمع بين الرصاص والقصيد، وبين الزحف والوعد، وبين السرايا والوفود، وبين هدير المدافع وهدير الكلام، فهذه الألفاظ – وإن لم تكن أضدادا في اللغة – أضداد في ذهن الشاعر الذي عانى الأمرين من التسويف والمماطلة. ففقد ثقته بالقصيد والوعود والوفود والكلام، ولم يعد يؤمن بغير الفعل، فشتان عنده بين الرصاصة والقصيدة، وشتان ما بين قول وفعل، وبين زحف ووعد، وبين كتيبة ووفد... وهكذا نقل الشاعر الطباق من التضاد الشكلي، إلى التضاد النفسي، الذي يكشف خبايا النفس . ويتعمق في الواقع المتناقض .

٦– **المقابلة** : ويدخل في المطابقة ما يخص باسم المقابلة، وهو أن **يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة ثم بما يقابلها على الترتيب** والمراد بالتوافق خلاف التقابل. وقد تتركب المقابلة من طباق وملحق به .

مثال مقابلة اثنين باثنين قوله تعالى [1] : ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا ﴾.

وقول النبي (ص) : « إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه ».

وقول **النابغة الجعدي** :

فتى تمَّ فيه ما يَسُرُّ صديقَهُ ... عَلى أنَّ فيه ما يَسوءُ الأعادِيا

---

(١) سورة التوبة، آية ٨٢ .

ومن مقابلة ثلاثة بثلاثة قول **أبي دلامة** :

ما أحسَنَ الدينَ والدُّنيا إذا اجتَمعا وأقْبَحَ الكُفرَ والإفلاسَ بالرَّجُلِ

وقول **أبي الطيب** :

فلا الجُودُ يُفني المالَ والجَدُّ مُقبلٌ ولا البخلُ يُبقي المالَ والجَدُّ مُدبِرُ

ومن مقابلة أربعة بأربعة قوله تعالى [1] : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ ﴾

(المراد بـ (استغنى) : زهد فيما عند الله كأنه مستغن عنه فلم يتَّق، أو استغنى بشهوات الدينا عن نعيم الجنة فلم يتق وحينئذ يكون مقابلا لقوله (اتقى) بما يستلزمه من عدم الاتقاء .

وقيل في قول **أبي الطيب** :

أزُورُهُم وسَوادُ اللَّيل يَشفَعُ لي وأنثني وبَياضُ الصُّبح يُغري بي

مقابلة خمسة بخمسة على أن المقابلة الخامسة بين لي وبي .

موازنة بين بيت المتنبي هذا وبيت أبي دلامة :

١- رُجِّح بيت أبي الطيب بكثرة المقابلة مع سهولة النظم، وبأن قافيته ممكنة بعكس قافية بيت أبي دلامة فهي مستدعاة فما ذكره غير مختص بالرجال .

---

(١) سورة الليل ، الآيات ٥ - ١٠ .

٢- ورجّح بيت أبي دلامة على بيت أبي الطيب بجودة المقابلة، فإن ضد الليل المحض هو النهار لا الصبح.

ومن لطيف المقابلة ما حكي عن محمد بن عمران التميمي إذ قال له المنصور: بلغني أنك بخيل . فقال : يا أمير المؤمنين . ما أجمد في حق ولا أذوب في باطل.

وأكثر ما وجد في المقابلة في الشعر القديم مقابلة ستة بستة كقول عنترة:

على رأسِ عبدٍ تاجُ عزٍّ يَزينُهُ وفي رِجلِ حُرٍّ قَيدُ ذُلٍّ يَشينُهُ

٢- التورية

وهي أن يطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد ويراد به البعيد منهما مع وجود قرينة خفية تدل على إرادة المعنى البعيد، فإن كانت القرينة ظاهرة لم يكن اللفظ تورية.

والتورية ضربان **مجردة ومرشحة** .

التورية المجردة : وهي التي لا تجامع شيئا مما يلائم المورى به (المعنى القريب) . ويدخل فيها ثلاث صور:

١- أن تكون مجردة مما يلائم القريب والبعيد . كقول أبي بكر رضي الله عنه وقد سئل عن النبي في الهجرة فقيل له : من هذا ؟ فقال : « هادٍ يهديني » أراد هاديا يهديه إلى الإسلام، لكنه ورى عنه بهادي الطريق وهو الدليل في السفر .

٢- أن تكون مجردة مما يلائم القريب مقترنة بما يلائم البعيد [١] كقول عماد الدين :

أرى العِقدَ في ثغرِهِ مُحكماً يُرينا الصِّحاحَ مِنَ الجَوهَرِ

فالتورية في «الصحاح» لأن معناها القريب معجم الصحاح للجوهري.

والمراد منها أسنان محبوبِهِ. وقد قرنت بما يلائم البعيد وهو قوله «في ثغره».

٣- أن تكون مقترنة بما يلائم المعنيين القريب والبعيد كقوله :

ومُولَعٍ بِفِخَاخٍ يَمُدُّها وشِباكِ
قالت ليَ العَينُ ماذا يَصيدُ ؟ قلتُ : كَراكي

فالتورية في « كَراكي » لأن معناها القريبَ جمع كركيّ وهو طائر رمادي اللون . والمعنى البعيد النوم وهو المراد . وقوله « يصيد » يلائم القريب . وكلمة « العين » تلائم البعيد .

التورية المرشحة : وهي التي تقترن بما يلائم المعنى القريب (المورى به)، سواء أكان ذلك قبلها أم بعدها . فمن المرشحة بما قبلها قول الشاعر:

فلما نَأَتْ عنَّا العشيرةُ كُلُّها أَنَخْنا فحالَفْنا السُّيوفَ على الدهرِ
فما أسلَمَتنا عند يَومِ كَريهَةٍ ولا نحنُ أغْضَينا الجُفونَ على وِتْرِ [٢]

فالتورية في لفظ « الجفون » والإغضاء مما يلائم جفن العين لا جفن

---

(١) عد المتأخرون هذه الصورة ضرباً ثالثاً من التورية، سموه « المبينة » .
(٢) أنخنا: كناية عن إقامتهم بدارهم واكتفائهم بأنفسهم. والوتر: الثأر .

السيف ، وإن كان المراد به إغماد السيوف .

ومنه قول الآخر :

أيُّهـــا المُـعـــرِضُ عـنَّـا حَسبُـكَ اللـــهُ تَعـالـــى

فالتورية في قوله « تعالى » وقد رشحت بلفظ الجلالة . والمراد: أحضر.

ومن المرشحة بما بعدها قول القاضي عياض في صيفية باردة:

كـأنَّ كانـونَ أهـدى من ملابِسِهِ لشهـرِ تموزَ أنواعاً من الحلـلِ
أو الغزالةُ من طولِ المَدَى خَرِفَت فما تُفَرِّقُ بين الجَدْيِ والحمَلِ (١)

والتورية المرشحة في« الغزالة» فإن معناها القريب الظبية . والمراد منها الشمس. وقد قرنت بما يلائم القريب وهو قوله« خرفت » وكذلك ذكر «الجدي والحمل » وفي كل من « الجدي » و«الحمل » تورية مجردة .

تدريب

وضح التورية في الكلمات التي تحتها خط فيما يلي :

١- قال تعالى ﴿ وهو الذي يتوفاكم في الليل ﴾ (الأنعام،٦٠)

٢- قال الشاعر :

أبيـاتُ شعـرِكَ كالقُـصُـو رِ ولا قـصورَ بها يَعـوقُ
ومِـنَ العـجائِـبِ لـفظُهـا حُـرٌ ومـعناهـا رقيـقُ

---

(١) الغزالة : الشمس . والجدي : برج البرد ، والحمل : برج الدفء .

٣- قال الحمامي :

جُودوا لنسجعَ بالمدا ... ئِحِ في عُلاكُمْ سَرمدا
فالطيرُ أحسنُ ما تُغَرِّ ... دُ عندما يقعُ الندى

٤- قال ابن نباتة المصري :

والنهرُ يشبهُ مِبرَدا ... فلأجلِ ذا يجلو الصَّدى

٥- قال تعالى : ﴿ قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم ﴾ (يوسف ٩٦).

٦- قال الصلاح الصفدي :

وصاحبٍ لَّما أتاهُ الغِنى ... تاهَ ونفسُ المرْءِ طمَّاحَه
وقيلَ هل أبصرتَ مِنه يداً ... تَشكُرُها ؟ قلتُ : ولا راحه

٧- قال الشاعر :

حملناهُمُ طُرّاً على الدُّهْمِ بعدما ... خَلعنا عليهم بالطِّعانِ ملابِسا

ثانيا- المحسنات اللفظية

١- الجناس

والجناس بين اللفظين هو تشابههما في اللفظ مع الاختلاف في المعنى.

الجناس التام : وهو أن **يتفق اللفظان في أنواع الحروف وأعدادها وهيئاتها وترتيبها** ،وهو أنواع:

١- **المماثل** : وهو ما كان طرفاه من نوع واحد كاسمين مثلا كقوله تعالى [1] : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾.

وقول **عيسى المخزومي** :

حَـدَقُ الآجـالِ آجـالُ والهـوى للمـرءِ قتـالُ

الأول جمع إجل بالكسر وهو القطيع من بقر الوحش، والثاني جمع أجل والمراد به منتهى الأعمار .

٢- المستوفَى : وهو ما جاء طرفاه من نوعين مختلفين كاسم وفعل كقول **أبي تمام** :

ما ماتَ من كرمِ الزمانِ فانـهُ يحيا لدى يحيى بنِ عبدِ اللـهِ

ونحوه قول **ابن كناسة** يرثي ابنه :

وسميتُهُ يحيى ليحيا فلم يكُـن إلى ردِّ أمـرِ اللهِ فيهِ سبيـلُ

٣- **جناس التركيب** : وهو ما كان أحد لفظيه مركبا، وهو على ثلاثة أضرب:

---

(١) سورة الروم، آية ٥٥ .

أ- **المرفُوّ** : وهو ما كان المركب من طرفيه مركبا من كلمة وبعض كلمة ، كقول **الحريري** :

ولا تَلْهُ عن تذكارِ ذنبكَ وابكِهِ بدمعٍ يحاكي الوَبْلَ حالَ مصابهِ
ومَثِّلْ لعينيكَ الحِمامَ ووقعَـــهُ وروعَةَ ملقاهُ ومَطعَمَ صابِـــهِ

ب - **المتشابه** :وهو ما كان المركب من طرفيه مركبا من كلمتين أو أكثر واتفق طرفاه في الخط ، كقول **أبي الفتح البستي** :

إذا مَلِكٌ لم يكن ذا هِـــبَهْ فدعْـهُ فدولتُـــهُ ذاهِبَـــهْ

جـ- **المفروق**: وهو ماكان المركب من طرفيه مركبا من كلمتين أو أكثر واختلف لفظه في الخط ، كقول **البستي** أيضا :

كلُّكُـــمْ قـــد أخـــذَ الجـا مَ ولا جَـــامَ لـنـــــا
مـــا الـــذي ضَـرَّ مديرَ الـــ جـــامِ لـــو جامَـلَنـــا

(الجام : الكأس . مدير الجام : الساقي) .

ومنه قول الآخر :

لا تعرضَنَّ على الرواةِ قصيـــدةً ما لم تبالغْ قبلُ في تهذيبِهـــا
فمتى عرضتَ الشعرَ غيْر مُهَذَّبٍ عدُّوهُ منكَ وساوساً تهذي بهـا

ووجه حسن الجناس التام حسن الإفادة مع أن الصورة صورة الإعادة .

الجناس المحرف : وهو ما اختلف لفظاه في هيآت الحروف دون أنواعها وأعدادها وترتيبها كالبُرْدِ والبَرْدِ في قولهم : جُبَّةُ البُرْدِ جُنَّةُ البَرْدِ .

وعليه قوله تعالى[1] : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ فَانظُرْ كَيفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴾ .

وقد يكون في الحركة والسكون كقولهم « البِدعَةُ شرَكُ الشِّرك.

وقول أبي العلاء :

والحسنُ يظهَرُ في بيتين رونقُــهُ بيتٌ من الشّعر أو بيتٌ من الشّعرِ

الجناس الناقص : وهو ما اختلف لفظاه في أعداد الحروف فقط دون أنواعها وهيآتها وترتيبها ويكون على وجهين :

أ- أن يختلفا بزيادة حرف واحد في :

الأول كقوله تعالى[2] ﴿ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝٢٩ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ۝٣٠ ﴾. أو الوسط كقولهم : جَدِّي جَهْدي أو في الآخر كقول أبي تمام:

يمدُّونَ من أيدٍ عواصٍ عواصــمٍ تصولُ بأسيافٍ قواضٍ قواضــبِ

ومنه ما كتب به المعتمد بن عباد إلى صاحب له يدعوه إلى مجلس أنس :

أيها الصاحبُ الذي فارقتْ عيــ ـني ونفسي منهُ السَّنا والسنــاءَ
نحنُ في المجلسِ الذي يهب الــرا حةَ والمسمَــعَ الغنــى والغِنــاءَ
نتعاطى التي تُنسـي مــنَ اللــذ ة والرقَّــةِ الهــوى والهــواءَ
فأتِــهِ تُلْــفِ راحــةً ومُحَيًّــا قد أعَــدَّا لكَ الحيــا والحيــاءَ

---

(١) سورة الصافات ، الآيتان ٧٢ ، ٧٣ .
(٢) سورة القيامة ، الآيتان ، ٢٩ . ٣٠ .

ووجه الحسن في القسم الذي يكون بزيادة حرف في الآخر يرجع إلى المعنى النفسي، فإنك تتوهم قبل أن يرد عليك آخر الكلمة أنها هي التي مضت وإنما أتى بها للتأكيد حتى إذا تمكن آخرها في نفسك ووعاه سمعك انصرف عنك ذلك التوهم، وفي هذا حصول الفائدة بعد أن يخالطك اليأس منها .

الوجه الثاني : أن يختلفا بزيادة أكثر من حرف واحد كقول الخنساء:

إن البكـاءَ هـو الشفـا ءُ من الجـوى بين الجـوانِـحْ

وربما سمي هذاالضرب مُذَيَّلاً .

فإن كان الاختلاف في أنواع الحروف شريطة ألا يقع الاختلاف بأكثر من حرف فهذا هو الجناس المضارع أو الجناس اللاحق:

الجناس المضارع: وهو ما كان الحرفان المختلفان فيه متقاربين .

وهما إما أن يكونا في الأول كقول **الحريري**: « بيني وبين كني ليل **دامس** وطريق **طامس** » .

وإما في الوسط كقوله تعالى [1] : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْئَوْنَ عَنْهُ ﴾

وقول بعضهم : **البرايا** أهداف **البلايا** .

وإما في الآخر كقول النبي (ص) : « **الخيل** معقود بنواصيها **الخير** إلى يوم القيامة ».

---

(١) سورة الأنعام ، آية ٢٦ .

الجناس اللاحق : وهو ما كان الحرفان المختلفان فيه غير متقاربين . ويكون أيضا إما في الأول كقوله تعالى[1] : ﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ﴾ . وقول **الحريري**: « لا أعطي **زمامي** لمن يخفر **ذمامي** » .

وإما في الوسط كقوله تعالى[2] : ﴿ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾ وقوله تعالى[3] : ﴿ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ ﴾

وإما في الآخر كقوله تعالى[4] : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ ﴾.

وقول **البحتري** :

هلْ لما فاتَ من تلاقٍ تلافـــى أم لشاكٍ من الصبابةِ شافـــي

جناس القلب : وهو ما اختلف لفظاه في ترتيب الحروف، وهو ضربان : قلب الكل كقولهم : حسامة **فتح** لأوليائه **حتف** لأعدائه . وقلب البعض كما في الخبر «اللهم استر **عوراتنا** وآمن **روعاتنا**». وقول بعضهم : رحم الله امرءا امسك ما بين **فكيه**، واطلق ما بين **كفيه** .

ومنه قول **المتنبي** :

مُمنَّعـــةٌ مُنَعَّمَـــةٌ رداحٌ يُكَلِّفُ لَفْظُهـا الطيرَ الوُقوعـــا

الجناس المقلوب المجنح : إذا وقع أحد المتجانسين جناس القلب في أول البيت والآخر في آخره سمي مقلوبا مجنحا، كقول الشاعر : .

(١) سورة الهمزة ، آية ١ .
(٢) سورة غافر، آية ٧٥ .
(٣) سورة العاديات، الآيتان ٧،٨ .
(٤) سورة النساء، آية ٨٣ .

لاحَ أنـــوارُ الهُـــدى مـــنْ كفِّـــهِ فـــي كـــلِّ حـــالِ

الجناس المزدوج: وهو الذي يلي فيه أحد المتجانسين الآخر، كقوله تعالى [1]: ﴿ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ . ومنه ما جاء في الخبر : « المؤمنون **هينون لينون** »

ما يلحق بالجناس : يلحق بالجناس شيئان :

١- أن يجمع اللفظين الاشتقاق **كقوله تعالى** [2]: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ ﴾ وقوله تعالى [3] : ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ ﴾، وقول النبي صلى الله عليه وسلم : « **الظلم ظلمات** يوم القيامة ».

وكقول **أبي تمام** :

وأنجدتـــمُ من بعدِ إتهامِ دارِكمْ فيا دمعُ أنجدني على ساكني نَجْدِ

٢- أن يجمع اللفظين المشابهة . وهي ما يشبه الاشتقاق وليس باشتقاق، كقوله تعالى [4]: ﴿ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ وقوله تعالى [5] : ﴿ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ ﴾ . وقوله تعالى [6] : ﴿ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ **وقول البحتري** :

وإذا ما رياحُ جُـــودِكَ هبَّـــتْ صار قولُ العَذولِ فيها هَبـــاءَ

---

(١) سورة النمل، آية ٢٢ .
(٢) سورة الروم ، آية ٤٣ .
(٣) سورة الواقعة ، آية ٨٩ .
(٤) سورة التوبة ، آية ٣٨ .
(٥) سورة الشعراء ، آية ١٦٨ .
(٦) سورة الرحمن ، آية ٥٤

جمال الجناس : جمال الجناس وحسنه لا يرجع إلى جرس الحروف، وظاهر الوضع اللغوي، وإنما يرجع إلى مسائل معنوية من شأنها أن ترضي العقل، وبمقدار هذا الرضا يكون جمال الجناس، ومن هنا كنا لا نعجب بجناس أبي تمام في قوله يمدح **الحسن بن وهب** :

ذهبَتْ بمذهبِهِ السماحَةُ فالتــوتْ فيه الظُّنونُ أَمَذهَبٌ أمْ مُذْهــبُ

إن أعاد كلمة مذهب مضمومة الميم، فبدا تكلفه واضحا، وكأنه يتمحل الجناس تمحلا. وفرق بعيد بين جناس أبي تمام هذا وجناس بعض الشعراء في قوله :

ناظــــراهُ فيما جنــى ناظِـــــراهُ أو دعانـــي أمُــت بما أودَعاني

فالشاعر على رأي عبد القاهر « قد أعاد عليك اللفظة كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها، ويوهمك كأنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفاها[1]». فجمال الجناس يرجع إلى أننا نظن أول الأمر أن معنى الكلمة الثانية هومعنى الكلمة الأولى، وسرعان ما نتنبه إلى أنها غيرها وأنها تعطينا شيئا جديدا، وكأنه عطية غير مرتقبة . وكل هذا يرجع إلى المعنى النفسي لا إلى صوت الحروف الحسي . ومثل ذلك يقال في الجناس الناقص في مثل قول **أبي تمام** في وصف جيش :

يمدُّونَ من أيدٍ عَواصٍ عَواصـــمٍ تَصولُ بأسيافٍ قَواضٍ قَواضبِ

فحسن هذا الجناس وجماله يرجع أيضا إلى المعنىالنفسي، ذلك أن السامع يتوهم قبل أن يرد عليه الحرف الآخير في كلمتي « عواصم »

---

(١) أسرار البلاغة ، ٥ .

و« قواضب » أنهما نفس الكلمتين اللتين مضتا، حتى إذا وعاهما سمعه انصرف عنه ذلك التوهم، وحصلت له فائدة جديدة بعد اليأس منها [1]

« وعلى الجملة فإنك لا تجد تجنيسا مقبولا ولا سجعا حسنا حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه .»[2]

٢- السجع

عرف البلاغيون السجع بأنه **توافق الفاصلتين في الحرف الأخير**، كقوله صلى الله عليه وسلم : « رحم الله عبدا قال خيرا فغنم . أو سكت فسلم » . فالفقرتان اتحدتا في الحرف الأخير وهو حرف الميم«غنم وسلم».

والسجع المطبوع ما توافرت فيه شروط أهمها :

١- الاعتدال في مقاطع الكلام ، إذ إن الاعتدال في مقاطع الكلام تميل إليه النفس بطبعها ، فمن الأفضل أن تتساوى الفقرتان في الطول المعتدل ، فإن طالت الفقرة أو الفقرتان ، أدى هذا إلى نوع من الملل لدى المتلقي .

٢- أن تكون الألفاظ المسجوعة حسنة الوقع على السمع ، فإذا بحث الكاتب عن ألفاظ غثّة ليقيم بها السجع ، أدى ذلك إلى نوع من التكلف .

٣- أن يكون اللفظ تابعا للمعنى، لا أن يكون المعنى تابعا للفظ

---

(١) البلاغة تطور وتاريخ ، شوقي ضيف ، ١٩١ .
(٢) أسرار البلاغة ، ٧ .

وحكاية قاضي «قم» مشهورة . فقد حدث أن خاطب أحد الأمراء قاضي مدينة «قم» فقال له: أيها القاضي بقم ، فأراد أن يقيم السجع فلم يجد في ذهنه لفظا ينتهي آخره بحرف الميم ولم يجد إلا أن قال : قد عزلناك فقم فقال القاضي :« والله ما عزلني إلا السجع »

٤- أن تكون كل لفظة من السجعتين دالة على معنى غير المعنى الذي اشتملت عليه الأخرى، فإن كان المعنى فيهما سواء، سمي هذا بالتطويل .

ومن الكتاب الذي اشتهروا وتفوقوا في استخدام السجع ابن العميد، وابن عباد، وابن نباته ، والحريري في مقاماته .

ومن السجع الذي استوفى الشروط السابقة قول أحدهم:« الكريم من أوجب لسائله حقا، وجعل كواذب آماله صدقا، وكان خرق العطايا منه خلقا، ولم ير بين ذمه ورحمه فرقا » .

ومن السجع الذي اتفقت فيه السجعتان في معنى واحد فخرج إلى التطويل قول الصابي:

« الحمد لله الذي لا تدركه العيون بألحاظها . ولا تحدُّه الألسن بألفاظها، ولا تخلقه العصور بمرورها، ولا تهرمه الدهور بكرورها » . فليس هناك من فرق بين مرور العصور وكر الدهور

أقسام السجع

يأتي السجع على أربعة أضرب :

١- **المطرف** : وهو أن تتفق الفاصلتان أو الفقرتان في الروي وتختلف في الوزن ومثال ذلك قوله تعالى [١]: ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ اللهِ وَقَارًا . وَقَدْ خَلَقَكُم أَطْوَارًا ﴾ فاللفظان « وقارا وأطوارا » اتفقا في الحرف الأخير وهو الراء واختلفا في وزنهما .

٢- **الترصيع** : ومعنى الترصيع مقابلة كل لفظة من فقرة النثر، أو صدر بيت الشعر بلفظة على وزنها ورويها، ومثال ذلك قوله تعالى[٢] : ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ ﴾ . فاللفظان « الأبرار، ونعيم » يقابلهما في الفقرة الثانية لفظان على ذات الوزن والروي وهما « الفجار، والجحيم» .

ومن الشعر قول **ابي فراس** :

وأفعالُنا للراغبينَ كرامةٌ وأموالُنا للطالبينَ نِهابُ

فاللفظان « أفعالنا ، والراغبين » في صدر البيت، يقابلهما وزنا ورويا لفظان هما « أموالنا، والطالبين » .

٣- **المتوازي** : وهو أن تتفق الفاصلتان في الوزن والروي ومثال ذلك قوله تعالى [٣] ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ ﴾ .

٤- **التشطير** : وهذا خاص بالشعر دون النثر . ومعناه أن يكون في كل شطر قافيتان مغايرتان لقافية الشطر الثاني . ومثال ذلك قول **أبي تمام** :

تدبيرُ مُعتصمٍ باللهِ منتقمٍ للهِ مُرتَغِبٍ في اللهِ مُرتقِبِ

---

(١) سورة نوح، آية ١٣ .
(٢) سورة الانفطار ، الآيتان ١٣، ١٤ .
(٣) سورة الضحى ، الآيتان ٩ ، ١٠

فالشطر الأول يشتمل على سجعة على حرف الميم ،. وفي الشطر الثاني سجعة على حرف الباء .

ولقد اختلف البلاغيون في قيمة السجع ، فبعضهم عابه وجعله سببا من أسباب التكلف، وبعضهم دافع عنه وجعله سببا في جمال الأسلوب، ولعل عبد القاهر الجرجاني خير من وضع حدا لهذا الخلاف عندما قرر أن السجع الحسن ما جاء عن تكاثف العملية الفكرية واللفظ بحيث ترسل المعاني على سجيتها لتطلب الألفاظ التي تناسبها .

تدريبات

١

بين السجع فيما يأتي واذكر نوعه :

١- قال صلى الله عليه وسلم : « اللهم أعط منفقا خلفا . وأعط ممسكا تلفا ».

٢- قال المتنبي :

فنحنُ في جَدَلٍ والرُّومُ فـي وجَلٍ والبَرُّ في شُغُلٍ والبَحرُ في خَجَلِ

٣- قال تعالى : ﴿ فيها سرر مرفوعة، وأكواب موضوعة ﴾.

٤- قال الشاعر :

فيا يومها كم من منافٍ منافـــقٍ ويا ليلَها كَمْ من موافٍ موافــقِ

٥- الإنسان بآدابه، لا بزيه وثيابه .

٢

بين جمال السجع وأثره في المعنى في قوله تعالى :﴿يأيها المدثر، قم فأنذر، وربك فكبر، وثيابك فطهر، والرجز فاهجر ﴾ .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفهرس

مقدمة

الفصل الأول :

البلاغة والفصاحة ٥

البلاغة والمستويات الثقافية..... ١٥

اللغة والبلاغة..... ٢٤

الفصل الثاني :

تاريخ علوم البلاغة العربية..... ٢٧

الفصل الثالث :

التشبيه وقيمته ٣٩

الفصل الرابع :

الحقيقة والمجاز ٤٥

الاستعارة ٤٧

الاستعارة التصريحية ٤٨

الاستعارة المكنية ٥٠

الاستعارة التمثيلية ٥٢

الاستعارة في القرآن الكريم..... ٥٤
بلاغة الاستعارة..... ٦٢
الوعي بالاستعارة ٦٧
منهج القدماء في الدرس الأدبي للاستعارة ٦٩

الفصل الخامس :

المجاز المرسل وعلاقاته..... ٧٨

الفصل السادس :

الكناية..... ٨٥
الكناية عن الصفة..... ٨٦
الكناية عن الموصوف ٨٧
الكناية عن النسبة..... ٨٨
التعريض بالكناية ٩٠
التلويح ٩١
الرمز ٩١
الإيماء أو الإشارة..... ٩٢

الفصل السابع :

الخبر والإنشاء
الخبر..... ٩٥
الغرض من إلقاء الخبر..... ٩٥
أضرب الخبر..... ٩٦
خروج الخبر على مقتضى الظاهر..... ٩٨
الإنشاء..... ١٠٣
الإنشاء الطلبي والإنشاء غير الطلبي..... ١٠٣
الإنشاء غير الطلبي..... ١٠٣

أساليب الإنشاء الطلبي وأغراضها الأصلية والمجازية ١٠٥
١- أسلوب الأمر..... ١٠٥
٢- أسلوب النهي ١٠٨
٣- الاستفهام..... ١١٢
٤- النداء..... ١١٦

الفصل الثامن :

الإيجاز والإطناب والمساواة
الإيجاز..... ١١٩
إيجاز القصر..... ١١٩
إيجاز الحذف ١٢٢
الإطناب.....١٢٧
أنواع الإطناب وأغراضه.....١٢٧
المساواة..... ١٣٨

الفصل التاسع :

علم البديع
مفهوم البديع..... ١٤٠
المحسنات المعنوية واللفظية..... ١٤٢
أولا - المحسنات المعنوية
١- الطباق..... ١٤٤
٢- التورية ١٥٠
ثانيا - المحسنات اللفظية
١- الجناس..... ١٥٤
٢- السجع.....١٦١

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

دار الهلال
عمان - الأردن
الطبعة الأولى
١٤١١هـ/١٩٩٠م

حقوق الطبع محفوظة

تلفون : ٧٢٥٢٠٥